روايات مصرية للجيب

زهور

120

طائر الجنون

« ملك النار الجزء 3 »



فوزي عوض

هذه السلسلة

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء .

وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة .

يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .

فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

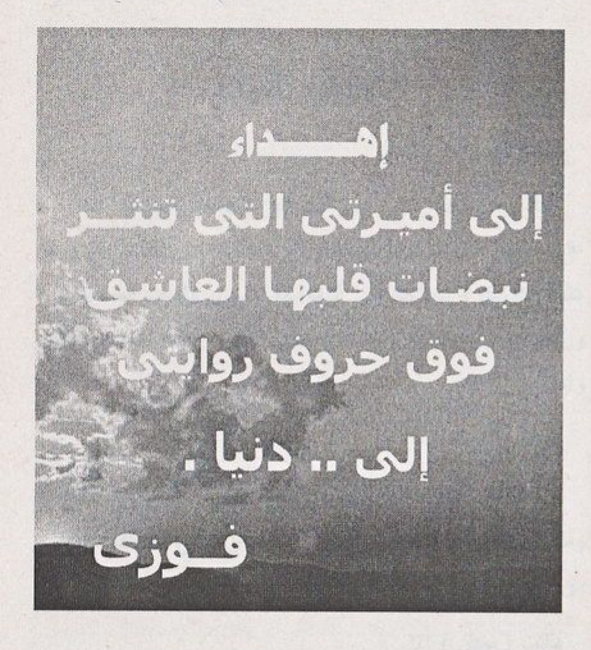
إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فيشع عبيرها الفواح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبة والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا .

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال الشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المـؤلف





الفصل الأول

ماتت العروس !!!

فجأة وهى تجلس بين يدى الكوافير انقطعت ضحكتها المغردة على النكتة التى داعبها بها الكوافير الشاب ، وسقطت من يدها علبة الكوكاكولا المثلجة التى أتتها بها إحـــدى الفتيات المدعوات ، ورفعت يدها بصعوبة ووضعتها فوق قلبها ، قائلة بصوت خافت واهن :

ــ قلبى يتوقَّف .

ولم تنطق بسواها .. شحب وجهها حتى صار بلون الثلج ؛ وسقط رأسها على كتفها الأيمن ، وقبل أن يفيق الكوافير الشاب من دهشته كانت قد لفظت آخر أنفاسها !!!

ماتت (سمر) !!!

(سمر) الغزال البرى العفى المتمرد المفعم بالحيوية والمرح والشقاوة ، التى كانت فى طريقها إلى أحضان حبيبها فى عش

زواجهما فإذا بها تحمل فى نعشها فوق الأكتاف ، وتمضى إلى قبرها المعتم ، لتستقر فيه وحيدة ساكنة مستسلمة ، تاركة خلفها عقول يفترسها الذهول ، ويدفعها دفعًا إلى هاوية الجنون ..

عقل أمها (عزيزة) ..

عقل شقيقها (ناصر) ..

عقل خالها (الشحات) ..

عقــل كل من أحبهـــا ولازمها وتعـــودها ، وشاركها حلمها وفرحتها ، وجاء ليزفها إلى جنتها مع حبيبها ؛ فإذا به يشيعها إلى قبرها ..

ذهـــول !!!

ذهول دامغ أطبق على عقول وأفئدة الجميع !!!

ولكن ما أصاب هؤلاء جميعًا كان شيئًا ، وما أصاب العريس العاشق كان شيئًا آخر ..

فمن اللحظة التى صرخت فى وجهه إحدى مدعوات الفرح بأن (سمر) ماتت ، وحتى وضعها فى نعشها ، ثم إنزالها إلى قبرها

ظل لا يفعل شيئًا سوى التحديق فى جثمان حبيبته بذهول مروّع شل كل حواسه تمامًا ..

لا دمعـــة ..

لا صرخة ..

لا كلمة ..

لا أية حركة سوى خطاه الذاهلة وسط المشيعين ، حتى إذا ما فرغوا من دفــن عروســـه ، واستداروا منصرفين ، فإذا به يسقط فوق الأرض فاقدًا الحراك .. انطلقـــوا به إلى مستشفى (الحسين) الجامعى ، وهناك أسرع الأطباء يسعفونه ، فإذا بنصفه الأيمن فقط هو الذى يستجيب ويفيـــق ، أما نصفه الأيسر فقد ظل بلا حراك ، ليستقر المسكين فى فراش المستشفى بشلله النصفى لأكثر من شهرين ، تبارت فى رعايته طوالها أسرتى (سمر) و(أميرة) بمنتهى التعاطف والأسى لما أصابه ، حتى غادروا به المستشفى بعدما طمأنهم الأطبـــاء بأن شلله ما هو سوى حالة مؤقتة نتيجة صدمته العصبية الحادة ، وأن المسألة

مسألة وقت لا أكثر .. إنه فقط فى حاجة إلى عناية نفسية خاصة ، مع الالتزام بكورس العلاج المقرر ..

وأصر المعلم (شحات) على أخذه معه إلى شقته ليكون تحت رعايته ، وكان له ما أراد ..

ها هى الأقـــدار ترد (عـــلاء) مرة أخرى إلى أحضان أسرة المعلم (شحات) .. تعيـــده إلى نفس الغـــرفة العزيزة الفاخرة بشقة المعلم التى سبق له أن دخلها محطمًا نفسيًا مـــن جـــراء ما فعله به (رفعت) ، وغادرها بأسعد حال وأبهى كيان .. ها هو يعـــود إلى نفس الغرفة فاقـــدًا حبيبته ونصف جسده ، فكيف سيغادرها هذه المرة ؟! كيف وبأية حال ؟

★ ★ ★

من الليـــلة التى أصدر فيهـــا المعلم (توبة) فرمانه القاطع بزواج (سمر) و(علاء) انزوت (أميرة) فى غرفتها بنفسية محطمة يفترسها الغـــم والاختناق .. أغلقت ذر حياتها ، فتوقَّف كل شىء ، بدءًا من انقطاعها عن الشركة ، وحتى عزوفها عن الكلام حتى مع والديها وشقيقها الأكبر ، بل إنها كادت تنقطع عن

الطعام والشراب لولا تدَخُل المعلم (شحات) .. إنه الأكثر إحساسًا بها وبما أصابها ، والأقـــرب لها حتى من أمها منـــذ ولادتها ، وفى تربيته لها راح يرتفع ويرتفع بكبريائها ، حتى صارت وكأنها الكبرياء ذاته يسعى فوق قدمين ، ومن هنا كان إحساسه الشديد بالجرح الذى أصابتها به (سمر) حين تهجمت عليها ومزّقت كرامتها على الملأ فى مكتبها وأمام موظفيها ، ثم جاء المعلم (توبة) ليكمل عليها بإنصافه لـــ (سمر) دون أدنى ترضية أو مراعـــاة لشعور (أميـــرة) . يا له من ظلم حظٍّ على ابنته الحبيبة .. ظلم لم يستطع هو نفسه دفعه عنها ، فقد وجد نفسه مغلول اليدين ، ليس ضعفًا أمام المعلم (توبة) أو غيره ، وإنما عجزًا أمام موقعه من الطرفين ، الظالمة والمظلومة ، فالمظلومة ابنته ، والظالمة أيضًا فى مكانة ابنته بحكم صلة الرحم ، بل إنها أمانة فى رقبته أمام الله هى وشقيقها (ناصر) منذ وفاة والدهما قبل خمسة عشر عامًا ؛ أى منذ طفولتهما .. هذا هو ما أعجزه فعلاً عن إنصاف ابنته الحبيبة ، ودفع الظلم البيِّن عنها ، ولم يكن يدرك حينها أن عجزه هذا سيضاعف من أزمتها النفسية ، فهى بحكم صغر سنها وعدم شمول نظرتها لم تر

موقفه من هذه الزواية ، بل رأته مجاملة منه للمعلم (توبة) ورجال المجلس على حساب كرامتها ، أو خوفًا على نفسه من شبهة محاباة ابنته على حساب فتاة يتيمة شوكتها ضعيفة ، وفى أى من الحالتين هو ضحّى بكرامتها .. باعها !! ومن هنا كانت صدمتها الأكبر التى ضاعفت من أزمتها النفسية ، والتى لم يستطع والدها انتشالها منها حتى حينما كاشفها وهو فى قمة الألم بالذى كبّله فى هذا الموقف ، وأوقفه عاجزًا مغلول اليدين أمام (سمر) وسفاهتها ..

وهكذا وقعت العقدة فى المنشار بين الأب الذى تذوب روحه حبًا فى ابنته ، والابنة التى كانت ترى فى أبيها الرجل الأوحد على ظهر الأرض ، فإذا به يخذلها فى أصعب محنة يمكن أن تصيبها فى حياتها كلها ..

ولكن .. أب كالمعلم (شحات) ، يحتفظ فى رأسه بعصارة حكمة السنين ، ويهدر قلبه بمثل هذا الحب لابنته هل يمكن أن يُعدم الحيلة فى إنقاذ ابنته من محنتها واسترداد عرشه فى قلبها ؟

★ ★ ★

لم يدم توقُّف وجدان (أميرة) عند هذه المحطة أكثر من أيام معدودات .. جاء موت (سمر) المفاجئ الصادم بهذه المأساوية السوداء ليزيح كل غلها من ابنة عمتها فى لحظة ، ويقلبه حزنًا فاجعًا أشد ضراوة من ذاك الغل ، ثم جاءت نكبة (علاء) بهذه الفظاعة الأشد سوداوية لتصب فوق وجدانها ذهولاً فوق ذهولها ، وغمًّا فوق غمها .. ما هذا الذى يفعله القدر بها ؟ وهل هان عليه أن يفعل بها هذا وهى الفتاة الرقيقة الضعيفة التى لم تجاوز الثالثة والعشرين من عمرها بعد ؟ نعم هنا تلاشى جبروتها الذى صبته فيها حياتها العملية ولم يبقَ منها سوى هذه الفتاة المسكينة الضعيفة الدامعة التى تثير الشفقة والرثاء ، ولم يفلح احتضان أبويها وشقيقها لها بكل ما فى قلوبهم من حب وحنان فى ترطيب وجدانها بأى قدر ..

وجدت نفسها تدخل إلى (علاء) فى غرفته ، وتجلس قبالته ، سارية عليه بعينيها الدامعتين وهو غائب فى نومه بتأثر المخدر الذى قرره له الأطباء ضمن كورس العلاج .. يا لحسرة القلب على شبابه .. فى أيام معدودات راح الشباب والقوة والحيوية ،

ولم يبقَ منها ســوى أطــلال تفجع القلب .. انشق قلبها وانفجرت حسرتها ، وانفجرت باكية دافنة وجهها فى كفيها ، مرددة فى سخط يكاد يفجِّر عقلها :

ــ الله يلعننى !!! الله يلعننى !!!!!

★ ★ ★

الفصل الثانى

وجد المعلم (شحات) نفسه فى قلب دوامة قاسية ، فمن ناحية أسقط انقطاع (أميرة) تمامًا عن الشركة عبئًا مضاعفًا فوق كاهله .. لقد كانت الفتاة على صغر سنها عمودًا موازيًا لأبيها فى إدارة إمبراطوريته الضخمة غير المشروعة والمحفوفة بالمخاطر .. تهــاوى هذا العمــود ، وصار على الرجل أن يدير إمبراطوريته بنفسه ، ومن ناحية أخرى أطبقت عليه ثلاث مآسٍ إنسانية تفوق احتمال أشد القلوب والعقول بأسًا ..

ابنته بأزمتها النفسية الطاحنة التى حطت عليها ، وراحت تفترسها بلا رحمة ..

و(علاء) الفتى المسكين ــ الذى صار بترتيب الأقدار ابنًا له ــ بفجيعته فى حبيبته التى التهمت نصف جسده فى لحظة ..

وأم (علاء) مريضة الفشل الكلوى المسنة المتهالكة ، التى دفعت بها مصيبتها فى ابنها إلى شفا الموت .

ضغط .. ضغط رهيب يفوق احتمال أشد الجبال صلابة ، ومع ذلك راح الرجل يتعامل معه بمنتهى الهدوء والصبر ، فمن الناحية الأولى راح يدير إمبراطوريته بنفس حيويته وحماسه المعروف بهما ، وكأنه فى أسعد أحواله .. ومن الناحية الثانية مضى يغمر ابنته بالحب والحنان والرعاية ، ويسحبها بمنتهى الرفق والذكاء إلى خارج أزمتها ، ومضى فى علاج (علاء) على أيدى أكبر الأطباء المتخصصين ، وبسخاء منقطع النظير ، وبواسطة ابنه المقدم (عصام) راح يحصل لـ (محمود) شقيق (علاء) على إجازات متواصلة من وحدته العسكرية ، ويمنحه المال بغير حساب لعلاج أمه ورعاية إخوته ..

وفى أقل من ستة أشهر كانت كل الأعمدة التى تهاوت تنتصب واقفة مرة أخرى ..

نجت (أميرة) من كبوتها ، بل خرجت منها أقوى مما كانت ، وعادت الحياة تدب فى نصف جسد (علاء) الميت ، وعادت إليه عافيته ، ولكن المعلم (شحات) ببصيرته أدرك أنها عافية منقوصة .. عافية بدنية فقط .. أدرك أن فجيعة الفتى فى حبيبته

ما زالت تسحق روحه وقلبه وعقله وكل كيانه .. تدمغهم جميعًا بذهول مميت .. وكان الرجل محقًا فى إدراكه .. فقد ظل كل ما بداخل (علاء) يرفض التسليم برحيل حبيبته .. كيف تكون رحلت وها هى أمام عينيــه بحلوها ومرهـا ؟ ها هى سعيدة وغاضبة .. حالمة وثائرة .. ها هى تضحك وتمرح وتغنى ، وتدهشـه بشقاوتها وجرأتها ، وتغضب وتثـور ، وتفزعه بعصبيتها العاصفة .. ها هى أمام عينيــه مجنونة بالحياة .. تعيشها بهوس .. لا يخطر ببالها شىء اسمه الموت .. تكاد تملأ ما بين الأرض والسماء بحيويتها وعنفوانها وجموحها .. ها هى تحدثه .. تصغى إليه .. تهمس له .. تداعبه .. تواعده .. تعاتبه .. تحاصره بشقاوتها وسعادتها وحبها .. تفعل كل هذا ، وأكثر ، وأكثر ، فكيف تكون ماتت !!!

كيف ؟!!!

هكذا كان رفضه التسليم برحيلها يظل يدوّى بداخله ، حتى إذا ما قفز أمام عينيــه مشهد جثمانها والأيادى ترفعه من نعشها ، وتنزل به إلى جوف القبر شق قلبه سكين ملتهب ، وسقط وجهه بين كفيه ، وانطلقت آهته منزوعة من لحم قلبه :

ــ آه يا (سمر) .. آاااااااااااااااه ..

ودخل عليه المعلم (شحات) وهو يصرخها ذات مرة ، فما كان منه إلاَّ أنه اندفع نحوه ، رافعًا وجهه من بين كفيه ، وهاتفًا به بمنتهى الانزعاج والدهشة :

ــ (علاء) !!! ما هذا يا بنى ؟! ما هذا الذى تفعله ؟!

وكان رد الفتى بالدمع الغزير :

ــ أموت وأحيا .. أموت وأحيا فى جهنم يا معلم (شحات) .

ــ بل تُغضب ربك يا بنى .. تُغضب ربك .

ــ أغضب ربى ؟! أُغضب ربى لأنى أصرخ على قطعة حية أُجتثت من قلبى ؟! ومكانها ينزف نارًا ؟! ووجعها يكاد يذهب بعقلى ؟!

ــ بل تُغضبه لأنك بصراخك هذا تعترض على قضائه وقدره .. تعترض على تصرفه فيما يملك .. تعترض على استرداده لوديعة يملكها هو وحده .. يا بنى .. أنا أعلم أن الفراق صعب ، وربنا سبحانه وتعالى أعلم منى ومنك بذلك ، لذلك يتقبّل حزننا على فراق

الأحبة ، بل إنه برحمته يخففه عنّا شيئًا فشيئًا بمرور الأيام ، ولكنه يفعل هذا معنا فى حال عدم خروج حزننا بنا عن حدود الإيمان بالله وبقضائه وقدره ، وأما إذا ما خرج بنا حزننا عن هذه الحدود ، وإلى حد الاعتراض على قضائه وقدره ، فإن رحمته عز وجل تنقلب غضبًا وسخطًا علينا ، ويتركنا لأحزاننا تأكل فينا حتى تقضى علينا ، وذلك لأن الحزن فى هذه الحال يكون حزنًا شيطانيًا .. ألا يحـدث أن يغضـب إنســان فى موقف ما ، فيجىء إنسان آخر شرير ، وينفخ له فى غضبه حتى يعميه ، ويوقعه فى شر أعماله ؟ هذا هو ما يفعله الشيطان بك الآن .. ينفخ فى حزنك حتى يعمى بصيرتك ، ويوقعك فى غضب الله ، ويدمرك .. حزنك هذا حزن شيطانى يا بنى ، أنساك ربك ، وأنساك ناس يحبونك ويحتاجون إليك .. أمك وإخوتك .. أمك المريضة ، هل هان عليك أن تزيدها عذابًا فوق عذاب المرض بتدميرك فى نفسك هكذا ؟ وإخوتك المساكين الذين ليس لهم سواك ، هل هانوا هم أيضًا عليك ؟ أفق يا بنى ! أفق مما يفعله بك شيطانك ، فهـو الذى ينفـخ فى حزنك هكذا ، ويقودك إلى هلاكك .. أفق حتى لا تُسخط الله عليك ! أفق من أجـل أمك

وإخوتك المساكين ، ومن أجل نفسك وشبابك ! أفق وكن رجلاً قويًّا كما عهدتك منذ عرفتك ، ولا تكن ضعيفًا تافهًا ، فأنا بطبيعتى لا أطيق الضعفاء التافهين .. أمامك ساعة تخرج لى فيها الشاب القوى الوجيه الممتلئ حيوية ونشاطًا ، أو تخرج من باب هذه الشقة بلا رجعة ..

هكذا ختمها المعلم (شحات) وهو يحدج الفتى بنظرة حاسمة محذرة حادة ، استدار بعدها مغادرًا الغرفة ..

وما هى إلاَّ نصف ساعة ، حتى كان (علاء) يخرج إليه فى الريسبشن بقمة أناقته ووجاهته ، وبابتسامة خجولة ، وبنظرة حياء واعتذار وقف أمامه هو و(رقية) و(أميرة) قائلاً بمنتهى الأدب :

ــ أنا تحت أمرك يا با (شحات) .

فما كان من الرجل إلاَّ أنه أخذه واعتصره فى حضنه بمنتهى الأبوة ، ثم استدار إلى (أميرة) قائلاً :

ــ ها هى وديعتك يا سـيادة المديرة أردها لكِ أحسـن مما كانت ..

★ ★ ★

بفرحة عمر تجتاحها اجتياحًا انطلقت (أميرة) بـ (علاء) إلى الشركة ، وإلى مكتب ملاصق لمكتبها مؤثث على أحدث طراز قادته ، وبابتسامة مفعمة بفرحتها الجامحة ، وباحترام متناهٍ أشارت له بالجلوس خلف المكتب العصرى الضخم الذى يتصدّر الغرفة الفسيحة :

ــ تفضل يا سيادة نائب المديرة !

فوجئ بدعوتها .. التفت إلى المقعد الضخم العالى المظهر يتأمله بدهشة ، ثم عاد ينظر إليها بنظرته المتفجرة بالدهشة والتساؤل ، فما كان منها إلاَّ أنها أعادت عليه دعوتها بنفس ابتسامتها :

ــ من فضلك اسمع الكلام وتفضل !

غالب تردده ، ودار حول المكتب جالسًا بالمقعد وهو يواصل تطلعه إليها بدهشته وتساؤله ، بينما جلست هى أمامه تتأمله ببدلته الرمادية الكاملة وبوجاهته الســاحرة فى مقعـده خلف المكتب .. اجتاحها شعور بأنها أمام أحد نجوم سينما الزمن الجميل ، وجاءها صوته رصينًا حانيًا ، ولكنه مغمور بدهشته :

ـ وماذا بعد يا سيادة المديرة ؟!

أجابته مبتسمة وهى ترفع إليه ولاعة شيك من فوق المكتب :

ـ أظنك تحتاج إلى سيجارة .

انفلتت ابتسامته :

ـ حتى الولاعة لم تنسوها ؟!

وأخرج علبة سجائره المارلبورو التى كان المعلم (شحات) قد دسها فى جيبه وهو يغادر الشقة مع (أميرة) ، وأشعل سيجارة منها ، ثم عاد يتطلع إلى (أميرة) بفضول يفترسه جعلها تبتسم مشفقة عليه ، ثم شرعت تريحه برصانتها التى تجعلها تبدو أكثر من سنها بعشر سنوات على الأقل :

ـ يا أستاذ .. أنا أعلم جيدًا السؤال الذى يثير دهشتك إلى هذا الحد ، وهو كيف تكون بدايتك فى شركة بوظيفة نائب مدير مرة واحدة ؟ والجواب بمنتهى البساطة : أن هذه الشركة ليست شركة حكومية أو روتينية .. إنها ـ وإن جاز التعبير ـ شركة ميدانية ، 90% من نشاطها فى الشارع .. فعربة السولار التى كنت تقف عليها فى الشــارع ، ومحطات البنزين فى الشوارع ، واستلام وتسليم السولار والبنزين يتم فى الشارع .. أى إنه نشاط لا يحتاج إلى خلفية علمية أو أكاديمية ، لا يحتاج إلى دراسة أو مؤهل ، أو حتى خبرة عمل بالمكاتب ، يحتاج فقــط إلى ابن ســوق .. شخصية قوية وذكية وأمينة ، والصفات الثلاث متوفرة فيك .

أسرع يشكرها :

ـ شكرًا يا أفندم .

ـ ليس المطلوب منك أن تشكرنى ، المطلوب منك أن تخبرنى بأنك فهمت .

ـ فهمت يا أفندم .



ــ إذن عليك أن تتخلص من دهشتك هذه لنبدأ عملنا .

ــ أنا تحت أمر سيادتك .

ونهضت الفتاة واقفة وهى تقول له :

ــ جرس الساعى على يمينك ، أُطلب منه شيئًا تشربه حتى أنهى بعض الأعمال فى مكتبى ، وبعدها سننطلق معًا ، فأمامنا مهمة تحتاج إلى قلبك الصعيدى الجامد .

واستدارت منصرفة غيـر مبالية بدهشته التى جمّدت عينيه عليها .

★ ★ ★

الفصل الثالث

بمحاذاة قرص الشمس الأحمر القانى العالق بغرب السماء ، وعلى طريق « الواحات » الصحراوى انطلقت (أميرة) بسيارتها الجيب الضخمة وبــ (علاء) إلى جوارها ، تتبعهما سيارة جيب أخرى من نفس الطراز بها أربعــة « بودى جارد » تكتسى وجوههم بصرامة تثيـر الرهبــة ، وتتبع السيارتين سيارة نقل مُحمّلة بألواح وأعمدة خشبية مستعملة وستة عُمال أشداء .. لم يكن (علاء) يدرى شيئًا عن وجهة السيارات ولا هدفها ، وأدرك من عدم إفصاح (أميرة) بشىء عن هذا ، ومن جديتها المرسومة على وجهها أن عليه أن يصطحبها صامتًا بلا سؤال أو تعليق ، فراح يراقب قرص الشمس وهو ينزلق بمنتهى التأنى خلف الأفق حتى اختفى تمامًا ، فعــاد يشعل سيجارة ، ويتأمل الطريق الــذى تنهبه السيارات الثــلاث نهبًا حتى لف الظلام الصحراء على الجانبين مختلطًا بالصمت الموحش الذى لفــه هو

نفسه ، فعلى غيـر عادتها لم تنبس (أميرة) ببنت شفة منذ انطلاقهما بالسيارة مــن أمام الشركة قبـل ثلاث ساعات مما ضاعف من دهشته وفضوله وحيرته ، ووجد نفسه يلتفت إليها متسائلاً ومعاتبًا ، فإذا بها تنحرف يمينًا فى الصحراء ومن خلفها السيارتان ، لتمضى السيارات الثلاث فى جوف العتمة مبتعدة عن الطريق حتى اختفى خلفهما ، وظهر أمامها خط أنابيب ضخم ممتد يمينًا ويسارًا بلا نهاية مرئية .. توقفت (أميرة) أمام الأنابيب ، وغادرت السيارة قائلة لــ (علاء) بجديتها المثيرة :

ــ أطفئ سيجارتك يا باشا ، واتبعنى !

وسبقهما البودى جارد الأربعة فى مغادرة سيارتهم ، وانتشروا على شكل دائرة كبيــرة حولهما وحــول العمال والسيارات والأنابيب شاهرين مدافعهم الرشاشة بمنتهى اليقظة والشراسة والتحفز ، بينما سارع العُمال بالقفز من السيارة النقل ، وانطلقوا ينزلون الألواح والأعمدة الخشبية ، وينصبونها حــول الجزء الذى أمامهم من خط الأنابيب على شكل مربع طول ضلعه نحو

العشرة أمتار ، تاركين فى أحد أضلاعه فتحة كبيرة تقارب الخمسة أمتار عرضًا ، ومثبتين أعلى الفتحة يافطة ضخمة مدونًا عليها :

« الهيئة العامة لأبحاث المياه الجوفية »

تم ذلك فى أقل من الساعة ، وما كاد يتم حتى كان أسطول من عشرين شاحنة من شاحنات المواد البترولية العملاقة بمقطوراتها تظهر مقبلة على الموقع ، وتدخل من السور شاحنة شاحنة ، ويتم شحنها من خط الأنابيب من خلال محبس ضخم مثبتًا أسفل أحد الأنابيب ومدفونًا فى الرمال بحيث لا يراه أحد ، وكلما فرغ العمال من شحن شاحنة سارعت بالانطلاق من الموقع ، حتى تم شحن العشرين شاحنة جميعها ، وفى أقل من ساعة كان يتم فك الألواح والأعمدة الخشبية ، وإعادتها إلى السيارة النقل ، لتنطلق هى الأخرى من الموقع ، ومن خلفها سيارتى (أميرة) والبودى جارد ، وتجمّد (علاء) فى مقعده بالسيارة وقد غشبته غيبوبة الكوابيس المفزعة غير المفهومة ، حتى أفاق على قرصة مؤلمة



فى ذراعه من (أميرة) ، وبدهشة غيبوبته خرج منه سؤاله الغارق فى الذهول :

ــ ماذا كان هذا يا آنسة (أميرة) ؟!!

وجاءه الرد بضحكة مغردة مفعمة بنشوة عجيبة :

ــ كان حصة .

ــ حصة ؟!

ــ نعم حصة .. حصة مجانية برعاية فوقية .. نصف مليون لتر بنزين .. بنزين حكومى مائة فى المائة ، أى بنزين بخيره .

واستغرقت فى الضحك بنشوتها العجيبة ، حتى رن موبايلها فأسرعت تجيب بأدب متناهٍ :

ــ تمــام يا أفندم .. كله تمــام .. نصف مليون لتــر .. طبعًا يا افندم .. طبعًا ربنا يحفظك لنا .. مع السلامة .

★ ★ ★

مغارة جديدة من مغارات المعلم (شحات) وابنته ، وجد (علاء) نفسه يقف تحت سقفها .. مغارة كادت تقتلع عقله من هول ما بها من ألغاز وعلامات استفهام .. نص مليون لتر بنزين تُسرق من الحكومة فى أقل من خمس ساعات ؟!!

ومن خط أنابيب خفى فى عمق الصحراء ؟!!

كيف علموا بمكانه ؟!!

من دلهم عليه ؟!!

وكيف تمكنوا من تركيب هذا المحبس فى أنابيب يتدفق فيها البنزين كالبحر الهادر ؟!!

ومن أين أتتهم الجرأة لفعل هذا ؟!!

من أين أتاهم كل هذا الجبروت ؟!!

من يحميهم ؟!

ومن يكون هذا الكبير الغامض الذى أعطته (أميرة) التمام بنجاح عملية السطو الرهيبة ؟!!

مـــن ؟!

مـــن ؟!

هنا انتفضت فى أذنيه كلمات (حسين) زميله السابق الواقف بعربة السولار اليدوية على الطريق « يا صاحبى .. إنها مافيا أكبر من المافيا التى نسمع عنها ، أو نشاهدها فى الأفلام الأمريكية .. مافيا تبدأ بنا نحن الواقفون بهذه العربات اليدوية على الطريق ، ولكن من المستحيل أن تعرف أين تنتهى » .. أصغى للكلمات فى أُذنيه بتوتر داهم ، وتذكّر كيف شعر بإثارة طاغية يوم سمعها لأول مرة ، ولكنه الآن لا يشعر بشىء من تلك الإثارة ، وإنما يشعر بالخوف .. نعم الخوف .. فإن يسمع المرء بأمرٍ ما فهذا شىء ، وأما أن يعيشه لهو شىء آخر ..

وحينما يشعر صعيدى فى جسارة (علاء) بالخوف ، فإنه لابد له من التوقف فورًا مع نفسه ..

ولم يكن ليخفى على المعلم (شحات) ما أصاب الفتى من جراء اشتراكه فى عمليـــة السـطو على بنزين الحكومة بهـذا

الجبروت ، فهو الــذى أرسله مع (أميرة) متعمدًا فتح هــذه المغارة المُفزعة أمامه ليختبر أهليته لما يريده له .. إنه يريده خلفًا له فى كل شىء .. فى إمبراطوريته التى تبيض له ذهبًا بغير حساب ، وفيما هو أغلى عنــده من هذه الإمبراطورية .. فى (أميرة) .. شىء ما فى قلبه يحدّثه بأنه سيكون خير خلف له فى الاثنتين .. شىء يملأ قلبه اطمئنانًا له .. شىء أكثر طمأنة من معادلة رد الإحسان بالإحسان .. فصحيح أنه يغمر الفتى بالإحسان والمعروف بدءًا من انتشاله من ظروفه المعيشية المميتة هو وأمه وإخوته ، ومرورًا بإنقاذه من الهلاك المحقق على أيدى (رفعت) و(ناصر) وبقيـــة العائلة نتيجة علاقته بالراحلة (سمر) ، ووصولاً إلى علاجه من الشلل النصفى الذى كاد يجعله يقضى بقية عمــره بنصف جســد .. وصحيح أنه لا يمكن لأى إنســان مهما بلغت نقيصته أن يرد مثل كل هذا الإحسان والمعروف بالإساءة إلاَّ أن شيئًا مختلفًا عن هذا كله هو الذى راح يملأ قلب المعلم (شحات) بالطمأنينة تجاه الفتى .. شىء خارج عن إرادته ، بل هو أقوى من إرادته .. شىء أشبه

بإيعاز القدر ، فهل كانت هذه إرادة القدر قبل أن تكون إرادته هو ؟ أن يكون الفتى خليفته فى الاثنتين : إمبراطوريته وابنته ؟

معقول هذا ؟!

معقول يأتى مخلوق بائس من الشارع لا يملك قوت يومه ليأخذ كل شىء ؛ إمبراطوريته وابنته ؟!

هكذا أطل السؤال من عينى المعلم وهو يتأمل الفتى الجالس أمامه قبالة ضريح « الحسين » ، ورغم أن المعلم بدا وكأنه مشغول بالتسبيح على حبات مسبحته الكريستالية لا بأمر الفتى ، إلاَّ أن الأخير كان يفطن جيدًا إلى تسلط عينى معلمه عليه ، فأطرق بعينيه إلى الأرض فى أدب ، متظاهرًا بتأمل رسومات السجادة التى يجلسان عليها ، بينما هو فى الحقيقة يكابد تساؤلاً لا يقل تعقيدًا عن تساؤل معلمه ، وهـــو أيضًا عن معلمه .. كيف يفهمها هـــذه ؟! رجـــل لا يدخل بيته ولا جيبه ولا بطنه شىء حلال ، وتجارته كلها ــ إن جاز تسميتها تجارة ــ حرام فى حرام ، ومع ذلك يأتى لزيارة آل البيت بمنتهى الحنين والشوق ، وتنهمر دموعه وهو يسجد بين يـــدى ربه ، ولا يتوقف عن التسبيح والحمد ؟! كيف ذلك ؟! كيف يجتمع نقيضان كهذين فى رجل واحد ؟! وهل يمكن للص بدرجة زعيم عصابة أن يكون بهذه التقوى ؟! هل يمكن هذا ؟!

ووجد الفتى نفسه يرفع عينيه بخضم حيرته إلى وجه معلمه ، لتتلاقى عيون الاثنين .. كلٌ بتساؤله وحيرته ، فلم يملك المعلم إلاَّ أن يبتسم مشفقًا على الفتى ، وأطـــرق بعينيه إلى مسبحته لوهلة أنهى فيها تسبيحه ، ثم عاد ينظر إلى الفتى قائلاً بسكينته التى ارتوى بها من صلاته ومن روحانية المكان :

ــ فى زماننا هذا يا بنى صارت الأمور المعقدة والمحيّرة للعقل أكثر كثيرًا من الأمور الواضحة المفهومة ، فعلى سبيل المثال تجد اللص مع كل عملية سرقة يدعو الله من قلبه بأن يحفظه ويستره ، ونفس الشىء يفعله المختلس والمرتشى ، وكل من يمضى فى طريق غير مشروع ، وتكون النتيجة علامات

استفهام مثل هذه المرسومة على وجهك ، والتى يثيرها اجتماع النقيضين فى إنسان واحد .

ــ ولماذا هذا التناقض ؟!!

ــ لأن هذا اللص والمرتشى والمختلس لا يرون أنفسهم أشرارًا ، بل يرون ضحاياهم هم الأشرار .. وهذا أمر آخر يثير دهشتك .

ــ طبعًا !! فكيف يكون الضحية شريرًا ؟!

ــ لأن هذا الضحية هو الذى دفع اللص إلى سرقته .

ــ كيف ؟!

ــ بأنانيته وطمعه ..

وأطرق الرجل إلى مسبحته فى غم لوهلة ، ورفع بعدها وجهه إلى الفتى مردفًا باختناقه :

ــ الأنانية والطمع اللتان سيطرتا على قلة قادرة من البشر هما من دفعتا ببقية البشر المستضعفين إلى محاولة اقتناص حقوقهم فى الحياة بأية وسيلة .

ــ ولو بالحرام ؟!

ــ الحـرام أن يترك إنسـان حقــه لغيـره .. أن يتـرك غيره يكاد يمـوت ملأً من التخمة والثـراء ، بينما هو يموت جـوعًا ومرضــًا وجهــلاً وذلاً وحســرة وإحســاسًا بالظلم ..

يا بنى فـرق كبير بين السرقة وأخـذ الحق .. ربنا سبحانه وتعالى من رحمتــه وعدله أن أودع فى الكـون خيـرًا يكفى جميع مخلوقاته إلى يوم الدين ، وما الفقـر الذى تـراه يفـرم تسعة أعشار البشر إلاَّ نتيجـة لطمع وجشـع العُشر الآخر ، واستحواذهم على كل خيـرات الكـون ، ولا تقـل لى أنهم نالوا هذا بجهودهم ، لأنهم لو كانوا نالوه بجهودهم لكانوا شرفاء ، ولو كانـــوا شرفاء لكانوا أخيــارًا ، ولو كانوا أخيارًا ما كانوا تركوا إخوانهــم من بنى آدم يموتون بؤسًا هكذا .. يا بنى .. والدى الذى كان عائلنا الوحيد أنا وأمى وإخوتى ونحن أطفال كان لا يملك من الدنيا ســوى صــحته ، وكــان يعمــل فرانًا ، وذات يوم وهو عائد مــن المخبز صدمته سيارة مرسيدس فخمة وفرت ،

وأسرع به المارة إلى أقرب مستشفى ، وبالصدفة كان مستشفى خاصًا ، فرفض مالكه وهو طبيب مشـــهور إسعافه إلاَّ بعد سداد ثلاثة آلاف جنيه تحت الحساب ، وكان النتيجة أن مات والدى فى الطريق وهم يسرعون به إلى مستشفى حكومى .. أى أن الذى صدمه ثريًا ، والذى رفض إنقاذه ثريًا ، فأين الحلال والحرام هنا يا بنى ؟ وماذا لو كان أحـــد مـــن المرافقين لأبى يعمل بتجارتى هذه ، ودفع منها المبلغ ، وأنقذ والدى ؟ وكيف كان سينظر له المولى عز وجل وقد أنقذ نفسًا من الموت ..

وأطرق الرجل بعينيه الحزينتين مرة أخرى إلى مسبحته لوهلة ، عاد بعدها ينظر إلى الفتى مردفًا بمنتهى الصدق :

ــ يا بنى .. أقسم لك بالله أننى لا أنال من ثرائى هذا سوى ثيابى التى أرتديها ، واللقمـــة البسيطة التى تسد رمقى ، وباقى ما أملك أتلهف لأن أستر به محتاج ، وأنقذ به مريضًا أو صاحب شدة ، وأنت خير من يفهمنى ويحسنى فى هذا ، فقد كدت تفقد أعز الناس لديك .. أمك .. ولم ينقذها سوى مال هذه التجارة ..

فماذا لو وجدت أمك مرة أخرى على شفير الموت ؟ هل سترفض لحظتها أن تأخذ من هـــذا المال ؟ أم إنك ستأخذ منه ما يكفى لإنقاذها ، وتنطلق إليها جريًا بكل لهفتك ؟ يا بنى .. لقد فعلها العُشر الجشع من بنى البشر ، وقلبوا الدنيا غابة ، وجعلوا قانونها الأعلى هو قانون الغابة ، فهيا نأخذ نصيبنا منهم قبل أن يهلكونا بجشعهم وطمعهم ، ويعجزوننا حتى عن إنقاذ أعز ما لنا ، كما فعلوا معى فى والدى ، وكادوا يفعلوا معك فى أمك وإخوتك !

هيـــا !!

ووجد (علاء) نفسه يتأمل المعلم بنظرة عميقة ، ثم كان جوابه بكل قناعة هو إيماءة استجابة ، أطرق بعدها مفكرًا لوهلة ، عاد بعدها يسأل المعلم برصانة وأدب :

ــ هل تأذن لى يا معلمى بأن أعود إلى فيلا « الزيتون » ؟

وفطن المعلم على الفور إلى مغزى الطلب ، فانسابت فوق شفتيه ابتسامة مفعمة بالإكبار للفتى ، فقـــد أبى دمه الحـــر أن

يطيل إقامته بين الأسرة أكثر من ذلك ، التقطها المعلم من الفتى ، فكان جوابه له بكل حب وإكبار :

ــ الفيلا وكل ما أملك تحت أمرك يا بنى .

★ ★ ★

الفصل الرابع

أمام بوابة « سميراميس » توقفـــت (أميـــرة) بسيارتها الــ « أوبل إسترا » الحمراء ، والتفتت إلى (علاء) الجالس إلى جوارها قائلة بابتسامة إعجاب تسطع على شفتيها وفى عينيها :

ــ تفضل يا برنس !

وكان لديها كل الحق فى وصفه بالبرنس .. فقـــد بـــدا حقًّا بوسامته الســـاحرة ، وببدلته الســـوداء المجسمة على قامته المشدودة ، وقميصه الأبيض الناصع ، وكرافته الحريرى الأزرق المطرز بخيوط ذهبية ، وساعة يده الذهبية ، وحذائه الأســـود اللامع برنسيسًا يشع وجاهة وبهاءً وسحرًا ..

مضت به إلى لوبى الفندق ، ولفت انتباهه وهى تمر به من البوابة حفاوة رجال الأمن بها ، فأدرك أنها زبونة مهمة للفندق .. عرجت به يسارًا إلى كافيه « حديقة الشاى » المطل مباشرة على النيل من وراء نوافذه الزجاجية العريضة ، فإذا باحترام وحفاوة أكبر فى انتظارها .. ثمانية رجال ترتسم عليهم كل

أمارات الفخامة والوقار والهيبة ، كانوا يجلسون حــول طاولة ضخمة ، فإذا بهم جميعًا بمجــرد رؤيتها ينهضــون واقفين لاستقبالها باحترام يثير الدهشة .. صافحتهم جميعًا بحميمية ، ثم التفتت إلى (علاء) تقدمه لهم :

ــ الأستاذ (علاء) نائبى فى الشركة .

رحّب به الجميع باحترام لا يقل عن احترامهم لها ، ثم جلسوا جميعًا بابتساماتهم إلا (علاء) ، جلس بعاصفة من الدهشة وعلامات الاستفهام ، هبت فى رأسه كإعصار جامح .. ما هذا الجمع ؟! إن ثلاثة منهم من كبار المسئولين بالدولة ، ولا يكادوا يفارقون شاشات التليفزيون .. يتذكرهم من تلك الأيام السوداء التى كان يجلس فيها أمام التليفزيون بالعشر ساعات يوميًا فى مقهى الصعايدة .. أما بقية الجمع فيبدو جليًا أنهـم لا يقلون مكانة وأهمية ، فما الذى يجمعهم بفتاة تتزعم عصابة لسرقة البنزين والسولار ؟! وما كل هذا الاحترام الذى يغمرونها به وكأنها أميرتهم ؟! وما هذا اللقاء الذى حشدهم جميعًا على هذا النحو ؟! أهو لقاء عمل ؟! وماذا يكون هذا العمل الذى يجمع

حزمة من رءوس الدولة بزعيمة عصابة كهذه ؟! بل ويدفعهم إلى احترامها إلى هذا الحد ؟!

ثم ....

ثم معقول ؟!!

معقول ؟!!

معقول أن يكون هؤلاء .... ؟!

أن يكون هؤلاء هم الطرف الآخر للمافيا التى تبدأ بعربة السولار اليدوية الواقفة على الطريق ؟!!!

يا نهار أسود !!!

أهؤلاء هم الذين يحكموننا ؟!!

مافيا ؟!!

مافيا تعيش على السرقة والنهب ؟!!

وهل يكتفون بالسولار والنزين أم أن مخالبهم تمتد إلى كافة عناصر الحياة ؟ وربما تصل إلى رغيف العيش ، ولماذا تُستبعد ؟

ألم يأت الزمن الذى تقاتل فيه المصريون البسطاء على رغيف العيش هذا حتى أريقت دماؤهم فى سبيل الحصول عليه ؟!!!!

وكاد رأس الفتى ينفجر من إعصار الدهشة والتساؤلات ، ولكنه لم يملك إلاَّ أن يحتفظ بلسانه داخل فمه طوال الاجتماع ، حتى إذا ما انفض ، وغادرت (أميرة) به الفندق ، وانطلقت به فى سيارتها كان جوابها على إعصار دهشته وتساؤلاته المعربدة فى عينيه وعلى وجهه بكلمات معدودة :

ــ يا نائبى العزيز .. هؤلاء الوجهاء الذين تشرفنا بمجالستهم هم الرعاة المستترين للمعلم (شحات) وولية عهده (أميرة) !!!

★ ★ ★

اُخرج من دور البرىء هذا يا ابن (ربيع) ، وكفاك تمثيلاً على نفسك ، فمن أول الطريق ، منذ أيامك الأولى على عربة السولار اليدوية ، أى منذ ما يزيد على السنتين ، وأنت لا تشرق عليك الشمس إلاَّ بمفاجأة من العيار الثقيل ، حتى بات من المفترض أنك صرت محصنًا من الصدمات والدهشة ، ثم ألم يأتك (حسين) العامل البسيط على عربة السولار بالأمر من الآخر حين كاشفك بأن عربة السولار اليدوية تلك التى يقف بها على الطريق ما هى

إلاَّ الطرف الأول لمافيا جبارة لا يعلم طرفها الآخر إلاَّ الله وحده ، كاشفك بهذا من أول الطريق ، ولم تتراجع ، بل فرحت به لما فيه من إثارة وجبروت يمسان هواك ، وثراء فاحش تشتهيه نفسك ، فلماذا دهشتك هذه مع كل خطوة جديدة على طريق من نار اخترته أنت بملء إرادتك وكامل هـــواك ؟ أفـــق من دهشتك المزعومة هذه ، ودعـــك من دور البرىء المندهش هذا ، إلاَّ إذا كنت تريد أن تتخذه ذريعة للتراجع ، وهل تعلم إلى أين سيكون التراجع ؟ سيكون إلى حجرتك العطنة بمنزل « أم يوسف » ، وإلى تمزيق « أم يوسف » فى كرامتك ليل نهار ، وإلى مقعد العاطلين بمقهى « الصعايدة » ، وتسول لقمتك وشايك وسجائرك ، وإلى عجزك عن علاج أمــك وإطعـــام إخوتك .. إلى جحيم الفقـــر والبطالة ، فهل تفكر فى التراجع إلى هذا بكل ما فيه من عذاب وذل وهوان ؟ هذا هو ما ينتظرك وراء ظهرك ، وهو ليس ببعيد ، فهل تريد العودة إليه ؟ هل تريد هذا ؟

هنا انطلق الجـــواب من فـــم (علاء) سريعًا حاسمًا قاطعًا وبمنتهى الذعر :

ــ لا لا لا ...



وبدا وهـــو يرددها كنائم انتفض مذعورًا من كابوس مريع داهمه فى نومه ، وفوجئت (أميرة) بصرخته وهى تنطلق به فى سيارتها على طريق « كورنيش النيل » ، وأسرعت تسأله فى دهشة وقلق وهى تتوقّف بالسيارة جانبًا :

ــ ماذا بك يا (علاء) ؟!

وجاءها رده وهو يمسح وجهه بكفيه فى عصبية :

ــ لا شىء يا آنسة (أميرة) ..

لا شىء .

والتفت إليها مردفًا فى حرج :

ــ فقط شردت فى أمرٍ ما .

ــ أمرٌ ما يُفزعك هكذا ؟!

ابتسم نافضًا عنه فزعه :

ــ لا شىء يفزعنى وأنا مع البرنسيسة .

أشرقت ابتسامتها الساحرة فوق شفتيها القرمزيتين :

ــ نعم هكذا .. عُد إلى (علاء) قلب الأسد !

وتحركت بالسيارة مواصلة طريقها ، بينما راح هو يتأملها مفتونًا بابتسامتها لوهلة ، ثم كان رده :

ــ أمام هذه الابتسامة النارية مستحيل أن يكون قلب أسد .

ــ ماذا يكون إذن ؟

ــ قلب عصفور صهرته ابتسامة ملتهبة ؟

انفلتت هتفتها بدهشة :

ــ ما هذا ؟! غزل صعيدى ؟!

وإذا بها ترفع صوتها منادية بمنتهى الشقاوة والمرح وخفة الظل :

ــ يا أهل « مصر » .. يا أهل المحروسة .. يا أهل « كايرو » .. هلموا أقبلوا .. هلموا أقبلوا لتروا غزل الصعايدة ، وكيف يكون .

وفوجئ (علاء) ، وأسرع يسألها فى دهشة باسمة :

ــ كيف يكون يا برنسيسة ؟!

ــ يكون دهب .. ياقوت .. مرجان .. أحمدك يا رب .

وانفجرت ضاحكة .. ضحكة طويلة صدّاحة مغردة .. ضحكة من نار ، وفوجئ (علاء) للمرة الثانية ، وشعر بقلبه ينتفض راقصًا على أنغام ولهب ضحكتها ، ووجد نفسه يتأملها مشدوهًا وكأنه يراها لأول مرة !! لم يسبق له أبدًا أن رآها بهذه الفتنة والشقاوة وخفة الظل .. دائمًا ما كانت جادة صارمة حادة ، لا تنطق بغيــر الأوامر والتوجيهات والحسابات ، ولكن ها هى بنوتة فاتنة تتفجّر أنوثة ودلالاً وشقاوة وخفة ظل .. ها هى كل ما فيها ساحرًا فاتنًا لذيذًا .. كيف لم يرها هكذا من قبل ؟! كيف غاب جمالها هذا وفتنتها وسحرها عن عينيه كل هذا الوقت ؟!

كيف ؟! وطافت دهشته على وجهه راسمة بلاهة مضحكة ، فانطلقت من الفتاة ضحكة أخرى أشد سخونة من سابقتها ، ثم راحت تتطلع إليه بإشفاق قائلة :

ــ لا تندهش هكذا يا (لوءة) .. التى أمامك هذه ليست (أميرة) سيدة الأعمال التى تعرفها .

فوجئ :

ــ من تكون إذن ؟!

وجاءه الجواب بدلال فاقع :

ــ مر.... مر .

خفق قلبه :

ــ مرمر ؟!

ــ نعم (مرمر) .. (مرمر) الطفلة البريئة الشقية العفوية التى كانت مختبئة ومتقوقعة داخل الشاويش (أميرة) ، وأنا عن نفسى لا أعرف لماذا حضرت الآن ، ولكن أما وقد حضرت وهى مفعمة بسعادة جنونية فإننى لا أملك إلاَّ أن أعطيها حريتها ، وأدعها تفعل ما تريد .

ــ ويا ترى ماذا تريد الآن ؟!

ــ ماذا تريد ؟ ماذا تريدين يا (مرمر) يا شقية ؟ ماذا تريدين ؟... أريد هذا .

وإذا بها تزيد من سرعتها متجاوزة أبراج « أغاخان » التى كانت قد اقتربت منها ، وتنحرف يمينًا فى شارع رئيسى بأقصى سرعتها ، فأسرع يسألها فى دهشة :

ــ إلى أين ؟!

وجاءه الرد سريعًا :

ــ لا تسل ، وأغمض عينيك ولا تفتحهما حتى آذن لك .

وانطلقت به ، وكلما سألها هل يفتح عينيه ؟ لم تجبه ، حتى أذنت له ، ففتحهما ليجد نفسه فى ملاهى « السندباد » ، ويجد نفسه فى يد الفتاة وهى تجرى به فى طرقات المدينة الصاخبة ، حتى إذا ما صادفت بائع الطرابيش ، سارعت بشراء طربوشين ، ووضعت أحدهما فوق رأســـه ، والآخـــر فوق رأسها ، لتعاود الانطلاق به إلى إحدى طاولات البنادق الرش ، ووضعت بندقيته

بين يديه ، وأمسكت هى ببندقية متحدياه فى مهارة التصويب ، وفازت بالرهان لينطلق صياح فرحتها الهيستيرى وهى تلهب كفيها تصفيقًا لنفسها ، ثم عادت تقبض بيدها على يده مرة أخرى ، وانطلقت تنتقل به من لعبة إلى أخرى ، حتى قفزت به فى الأرجـــوحة الدائرية الضخمة التى تدور رأسيًّا ، حتى إذا ما ارتفعت بهما فى الفضاء المرصَّع بالقمر مكتملاً والنجوم انطلق صياحها الهيستيرى :

ــ لووووووءة !! انظـــر أيـــن أنا وأنـــت الآن ! مع القمر والنجوم !! مع القمر والنجوم يا (لوءة) ! ضيفان عليهم !! انظر سعادتهم بنا !! هيا صافحهم !! هيا صافح هذا القمر الرائع وهذه النجمات الفاتنات الساحرات الفرحات بنا .. هيا صافحهم جميعًا يا (لوءة) !! هيا !! هيا !!

وأسرع (لوءة) يمد يديه الاثنتين ، ولكن ليس إلى القمر والنجوم ، بل إليها هى .. نعم إليها هى .. أسرع يمسك بها ،



ويضمها فى حضنه خوفًا عليها من هياجها المحموم ، وأسرع يصيح فيها بمنتهى القلق والهلع عليها :

ــ مرمر .. مرمر .

وإذا بصوت (مرمر) يتردد فى الفضاء محمومًا مجلجلاً كترنيمة كونية تنطلق من قلب الكون ذاته :

ــ عيون (مرمر) ، وقلب (مرمر) !! وعقل (مرمرم) بحبـــ.........ك !! بحبـــ.........ك !! بحبـــ.........ك يا قلب الأسد !!

بحبـــ...........ك .

وكاد قلب الأسد يصاب بالسكتة ..

★ ★ ★

الفصل الخامس

لا يكاد يدرى (علاء) كيف عاد من مدينة الملاهى ، ولا كيف ترك (أميرة) ، ولا كيف بلغ فراشه ، وبثيابه كما هى وبحذائه ألقى بنفسه على ظهره فى الفراش ، شاخصًا بعينيه فى سقف الحجرة ، تاركًا نفسه لذلك الشعور العجيب الذى سيطر عليه .. شعور طائر جميل على توّاق للحياة ، أُطلق سراحه فجأة من بعد حبس طويلٍ مرير فى فضاء رائع رحيب ، فعقدت المفاجأة جناحيه ، وغمرت قلبه ذهولاً !!

كيف يمكنه أن يصدّق هذا ؟!

كيف يمكنه أن يصدّق ؟!

أميــرة ؟!!

(أميرة) الإمبراطورة ؟!!

المليارديرة ؟!!

الفاتنـــة ؟!!

العشرينية العمر ؟!!



المتربعة فوق عرش المال والجمال ؟!!

(أميرة) الحلم لشباب أكبر عائلات « مصر » ؟!!

(أميرة) هذه تحبه ؟!!

تحبه هـو ؟!!

تحب (علاء) ؟!!

عـلاء ؟!!

(علاء) الذى كان مأواه حتى شهور قليلة مضت نصف حجرة عطنة ، وفراش قذر كريه الرائحة والمنظر ؟!!

(علاء) الذى كان حتى شـهور قليلة مضت يتلقى قوته اليومى كمعونة من شاب فقير مثله ؟!!

(علاء) الذى كانت « أم يوسف » تمسح بكرامته الأرض لعجزه عن سداد إيجار نصف الحجرة التى تأويه ؟!!

(علاء) الذى كادت أمه تموت من المرض ، وأخوته يموتون من الجوع وهو عاجزًا عن فعل شىء لهم ؟!!

(علاء) الذى كان يعيش بقميص وبنطال وحيدين ، وحين كان يضطر لغسلهما كان يظل متدثرًا ببطانيته العطنة فى فراشه حتى يجفا ؟!!

(علاء) هذا الذى كان حتى شهور قليلة مضت أسير الفقر القاتل والذل والهوان تحبه (أميرة)؟!!

كيف ؟!!

كيف يمكنه أن يصدّق هذا ؟!!

كيف ؟!!

يا مثبت العقل يا الله .. يا مثبت العقل ..

هكذا انطلقت هتفة الفتى بانفعال مستعر من آخر آخر أعماقه وهو يسارع بضم رأسه بكفيه بمنتهى القوة ، فقد شعر حقًا بأن عقله سينفجر من ضراوة ذهوله ، وانتفض جالسًا فى الفراش لا يدرى ماذا يفعل ، وإذا بأذان الفجر يرتفع من مسجد قريب ، وإذا بتكبيرات المولى عز وجل تنزل عليه بردًا وسلامًا مطفئة سعير انفعاله تمامًا ، وشعر بنفسه يهدأ تمامًا ، فرفع وجهه نحو المولى عز وجل ، فإذا به يتذكر تلك الدعوة التى توجه بها إلى

ربه ذات يوم بالدموع وهو ساجد بين يديه فى المسجد « اللهم بفضل ما زرعت فى قلب عبدك الضعيف هذا الإيمان .. وبفضل ما جعلتنى من الساجدين بين يديك الطامعين فى فضلك .. افتح لى خزائنك ، واجعلنى غنيًّا علامة بين الأغنياء ، وارزقنى عزًّا يجعلنى قبلة وملاذًا للضعيف والقوى اللهم آمين » ..

وانطلقت هتفة الفتى من قلبه بمنتهى الفرحة مستبشرًا :

ـ الله أكبر .. الله أكبر .

★ ★ ★

انتفض موظفـو وموظفات الشركة واقفين فى احترام بالغ وسعادة ، وراحوا يتسابقون فى الترحيب بالمعلم (شحات) الذى دخل عليهم فجأة بهيبته ووجاهته التى طغت بفخامة جلبابه وروعة قامته الفارعة .. حيّاهم جميعًا ببشاشته الساحرة ، ومضى إلى مكتب (أميرة) التى فوجئت به ، فهبت من مقعدها خلف المكتب مندفعة إلى حضنه بسعادة غامرة ، يسبقها هتافها :

ـ أهلاً أهلاً أهلاً بالملك .

ـ أهلا بك يا جناب المديرة .

وتبادلا القبلات ، ثم جلس أمام المكتب ، واضعًا ساقًا فوق ساق ، وهمّت هى بأن تجلس أمامه ، فأسرع يشير لها إلى مقعدها خلف المكتب ، قائلاً فى تبسُّم :

ـ للمرة المليون أذكِّرك يا جناب المديرة بأن أكبر متعة لى حين آتى إلى هنا هى رؤيتك فى مقعدك هذا خلف مكتبك هذا .

ولم تملك (أميرة) إلاَّ أن تبتسم ، وتنحنى طابعة قبلة على يده وهى تجيبه :

ـ أمرك يا ملك .

ومضت إلى مقعدهـا خلف المكتـب ، فتأملها مليًّا بسعادة وقورة ، ثم راح يشعل سيجارة ، بينما هى تسأله فى ابتهاج :

ـ ما هذه المفاجأة الحلوة طحن يا ملك ؟!

ـ أنت الأحلى يا جناب المديرة .

وأخذ نفسًا متأنيًا من سيجارته ، ثم أردف يسألها :

ـ أين نائبك ؟

سطعت سعادتها فى وجهها :



ـ فى مكتبه .

ـ وما أخباره فى العمل ؟

ـ يتقدم بسرعة الصاروخ .

هز رأسه إعجابًا ، بينما أردفت هى فى تبسُّم :

ـ أتعلم يا بابا أن فيه كثيرًا منك إلى حد أننى فى أحيان كثيرة أرى فيه المعلم (شحات) الصغير .

فوجئ المعلم بمغزى الكلمات ، ووجد نفسه ينظر فى عينى الفتاة مليًّا بنظرة باسمة ، لم يملك بعدها إلاَّ أن يبتسم ابتسامة ذات مغزى ، جعلتها تسارع بسؤاله فى دلال :

ـ ماذا وراء هذه الابتسامة يا ملك ؟

وكان جواب الرجل بابتسامة تفوق سابقتها ذكاءً :

ـ وراءها كل خير يا .... (مرمر) .

وأُسقط فى يد (مرمر) ، فقد أدركت على الفور أن عينيها فتنتا عليها ، وأن باباها الداهية وضع يده على مكنون قلبها .. أسرعت تهرب بعينيها منـــه إلى الديكتافون ، آمرة الساعى بأن

يأتيها بقهوة المعلم المضبوطة ، ثم التفتت إلى المعلم لتقول له شيئًا ما ، فإذا برنين موبايلها يسبقها ، أسرعت تجيب ، وإذا بها تنتفض واقفة وهى تهتف فى فزع :

ـ ماذا ؟

ثم أردفت هاتفة بفزعها :

ـ لا لا .. لا تفعلوا شيئًا .. نحن سنتصرف ..

وأغلقت الموبايل ، فأسرع المعلم يسألها فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟

ـ أمن شركة « مصر » للبترول قبض على شاحنتين لنا وهما تحمّلان بنزينًا من الشركة .

ـ لماذا ؟!

ـ مهندس فى الشركة اكتشف مساطرنا ، وأبلغ عنها أمن الشركة ومباحث التموين .

انتفض واقفًا ، مرددًا ومتسائلاً فى دهشة :

ـ مباحث التموين ؟! ومن يكون هذا المهندس ؟!

ـ مهندس شاب جديد .

ـ مهندس جديد ؟!

رددها المعلم بدهشـــته الطاغيـــة ، وأسرع يطلب رقمًا على موبايله ، ويهتف بدهشته فى محدثه :

ـ (سليم) باشا .. ماذا حدث ؟!

وجاءه جواب محدثه مثيرًا لغضبه وعصبيته ، فأسرع يسأله بجم غضبه :

ـ الأمر خرج من يديك ؟! كيف ؟! كيف وأنت مدير الشركة ؟!

ثم إذا به يصرخ فى مدير الشركة هذا :

ـ يا (سليم) .. يا (سليم) يا (موجى) لا تستهن بالأمر .. هذه المساطر طرف خيط ، الإمساك به يأتى بآخرنا .. يضيعنا كلنا وأنت أولـِ ....

ولم يكمل المعلم جملته .. أغلق الخط فى وجهه .. جن جنونه ، وانفلتت منه غمغمته بغضب مريع :

ـ يا ابن الـ ....

ووقف مبهوتًا للحظة ثم إذا به يندفع جريًا وهو يطلب رقمًا آخر فى الموبايل ، قائلاً لمحدثه بلهجة آمرة صارمة :

ـ (عسران) خذ معك ثلاثين أو أربعين رجلاً فى أربع أو خمس لوارى ، وأسرعوا إلى طريق الشركات ، وسدوه من الناحيتين بمشاجرتين كبيرتين ، ولا تجعلوا أى مخلوق يدخل الطريق سواء حــكومة أو غيرها وخاصـــة الحكومة يا (عســـران) .. فاهم يا (عسران) ؟ هيا بسرعة .. هيا .

وتوقف أمام سيارته المرسيدس الواقفة أسفل الشركة ، وأسرع يطلب رقمًا آخر ، ويهتف فى محدثه بلهجة آمرة صارمة :

ـ توبة .. أين أنت الآن .. لا لا .. دعك من هذا الآن ، واجمع فورًا كل ما تستطيع من رجالنا بسلاحهم ، وانطلق بهم إلى شركة « مصر » .. أنا فى الطريق يا (توبة) .. هيا لا تضيّع وقت .. هيا .

وأغلق الموبايل ، وقفز أمام « دريكسيون » السيارة ، منطلقًا بها بسرعة جنونية ، ولمحته (أميرة) التى كانت تحاول اللحاق به ، والتفتت إلى (علاء) الذى كان يجرى خلفها وهو يهتف بها متسائلاً فى دهشة وجزع :

ــ ماذا حدث يا (أميرة) ؟! ماذا حدث ؟!

وكان جوابها بعصبية وهى تقفز فى سيارتها الجيب التى كانت تقف خلف سيارة أبيها :

ــ اركب !

وانطلقت فى أثر أبيها بسرعة متهورة مخيفة ، بينما (علاء) يعاود السؤال عما جرى بقلق وذهول يفتكان به ، ولم يتلق منها بنت شفة ، فراح يحدّق فيها مبهوتًا وهو يضرب أخماسًا فى أسداس أمام صمتها وفزعها وقيادتها الجنونية حتى بلغا شركة « مصر » للبتــرول بــ « مسطرد » ، لتقع عينــا الفتى على مشهد جهنمى لم ولن يجرؤ فيلم سينمائى من أفلام الأكشن فى العالم بأسره ــ مهما بلغ جبروته ــ على عرضه يومًا ما ،

ولا يمكن أن يطوف بخيال أشد مؤلفى العالم خيالاً وشططًا .. أكثر من خمسين سيارة من أحدث السيارات الملاكى والجيب والميكروباص ، وما يزيد على الخمسمائة رجل صعيدى بجلابيبهم وعمائمهم يحاصرون الشركة من الجهات الأربع ، وبنادقهم الآليــة مصوَّبة إليها فى تحفز مسعور لدكها فوق من فيها ، بينما رجال أمن الشركة مجتمعين يقفون إلى حوار بوابتها وسط حلقة من ثلاثين أو أربعين صعيديًّا ، يكادون يغرسون فوهات بنادقهم الآلية فى رءوسهم ، فى تأهب جنونى لنسفهم نسفًا فى غمضة عيــن ، وحينما مرقت (أميرة) بــ (علاء) إلى فناء الشركة ، فوجئا برجــال المعلم (شحات) يثبتون كل من بداخلها بمن فيهم مديرها (سليم الموجى) نفسه ببنادقهم الآلية ، والمعلم يقف إلى جــوار الشاحنتين المقبوض عليهما ، صائحًا فى رجاله بجبروت أسد هصور عضه الغضب فى عقله :

ــ افسحوا الطريق !!

ثم التفت إلى قائدى الشاحنتين ، صائحًا فيهما بجبروته المريع :

ــ هيا اخرجا .. هيا .

وتحركت الشاحنتان مغادرتين الشركة ، بينما قلب (علاء) وعقله وكل ما فيــه يكاد يُصعق بصاعقة المــوت من هــول وجبروت ما يرى !! فقد فُعل هذا بشركة حكومية !!!!

وفى وضح النهار !!!!!!!!!!!

★ ★ ★

الفصل السادس

ــ طبعًا نحن فى انتظار الحكومة كى تلمنا كلنا برابطة المعلم .

كان هــذا أول ما نطــق به (علاء) بتهكم لا يخفى قلقه الصارخ وهــو يجلس أمام (أميــرة) إلى إحدى طاولات روستوران فندق « موفنبيك » المنتصب بقمة الزهــو فوق نيل « جاردن سيتى » ، ودُهشت (أميرة) ، وانفلت منها سؤالها بجم دهشتها :

ــ تلم من ؟!

ــ كل أبطال عملية القرصنة الأسطورية التى حدثت بالأمس على المسكينة « مصر » للبترول .

ــ تقصد بابا ورجاله ؟!

أجابها بنظرة قلق ، فكان سؤالها له فى تهكم :

ــ أنت مجنون ؟!



فوجئ ، بينما أشفقت هى عليه من قلقه الطافح على وجهه ، فأردفت تسأله برفق :

ــ وكيف ستعلم الحكومة ؟!

طفحت دهشته أيضًا :

ــ كيــف ستعلم ؟! ستعلم من الغفيــر إلى المدير فى الشركة يا ست الكل .

ابتسمت مشفقة أكثر ، ثم كان ردها برفق :

ــ اطمئن يا نائبى العزيز ، فلا المدير ولا الغفير ، ولا أى بنى آدم فى الشركة ، ولا فى كافة الشركات المجاورة سيفتح فمه بكلمة واحدة .

ــ لماذا ؟!

ــ لأن من لن يخاف على نفسه سيخاف على أهله .

تسمّرت عيناه على وجهها من الدهشة ، بينما أردفت هى برفقها :

ــ يا نائبى العزيز .. دعنى أذكِّرك بأمر هام من المؤكد أنه مر عليك مرارًا وتكرارًا ، فى بلدنا الجميلة هذه « مصر » عندما تحدث مشاجرة فى شارع ما ، ويظهر فيها سلاح تافه ، أو يُطلق عيار نارى واحد ، يسارع سكان الشارع جميعًا بإغلاق أبوابهم ونوافذهم على أنفسهم ، وإذا ما تفضلت الحكومة ، وجاءتهم لتسألهم عما حدث ، تكون أجوبتهم جميعًا موحَّدة « لم نر ولم نسمع » ، فما بالك بحالهم أمام أمر كهذا الذى حدث فى الشركة .

وعادت تبتسم ولكن فى مرارة ، ثم أردفت بمرارتها :

ــ يا نائبى العزيز .. انتبه ! نحن الآن رعية « آل مبارك » .

ــ آل مبارك ؟!

ــ نعم يا باشا .. آل (مبارك) .. القيصر (حسنى مبارك) وعائلته .. هذا القيصر وعائلته غرسوا فى أحشاء رعيتهم التى هى الشعب المصرى ڤيروس أشــد خطــرًا على الإنســان من « الإيدز » .. ڤيروس « الخوف » غرسوه وراحوا يغذونه بضمير ، فراح ينمو ويتوحش داخل المصريين ، حتى مسخهم ، وجعلهم عدمًا يسعى على أقدام .

صُدم (علاء) ، وانفلتت منه غمغمته :

ـ يا ساتر !

ودُهشت (أميرة) لصدمته ، وانفلت منها تساؤلها بكثير من التهكم :

ـ ما هذا يا باشا ؟! ألست مصريًا ؟!

همَّ بأن يدفع عن نفسه تهمة الجُبن التى رمته بها تلميحًا ، فإذا به يتذكر ما فعله أمناء المباحث بصديقه (ياسر) قبل عامين أثناء عمله بمقهى « الصعايدة » ، وكيف سحلوه وطحنوه ضربًا على مشهد ومسمع من رواد المقهى وسكان الحى جميعًا ، ثم لفقوا له تهمة الاتجار فى المخدرات ، وكاد يضيع فيها ، وكل ذلك لأنه فقط طالبهم بثمن المشروبات التى تناولوها !! تذكَر هذه الواقعة ، ووجد نفسه يرنو إلى (أميرة) بكل مرارة ، وكأنه يقر بكل ما قالته ، ويبصم عليه ، ولكن مع مرارته هــذه تحرك بداخله شــعور آخر كريه ، يكرهه كراهية العمى .. شعور بالانكسار ، أسرع ينفض عنه هذا الشعور القذر ، ووجد نفســـه يقول للفتـــاة بصحوة مفعمة بالكبرياء والشموخ وعزة النفس :

ـ لا يا (أميرة) .. لا .. المصريون ليسوا هكذا .. ليسوا جبناء ، وأبدًا لن يكونوا ، وخاصة شباب « مصر » .. اسألينى

أنا .. أنا واحد منهم ، وفى منزل أم « يوسف » فقط كان هناك عشرات من الشباب ، أقمت معهم طويلاً ، وأبدًا لم أر فيهم جبنًا ولا انكسارًا ، ومن عشرتى لهم يمكننى أن أؤكد لكِ بكل ثقة أنهم ومعهم شباب « مصر » أجمعين مشغولون فقط بانتشال أنفسهم من ظروفهم القاسية وبناء أنفُسهم ، بالوقوف على أقدامهم أولاً ، وهم يتجنبون الصدام مع الظلم والظالمين لأن لحظتهم لم تحن بعد ، ولكنها حين تحين سوف يقتلعونهم من جذورهم ، وسيلقون بهم إلى مصيرهم الذى يستحقونه ، ولو بلغت قوتهم حينها أضعاف أضعاف ما هم عليه الآن .. ثقى فى ذلك يا (أميرة) ..

ثقى فى ذلك ...

وغدًا لناظره قريـــ..............

وراح يمد فى حرف الياء من شدة صدمته مما وقعت عيناه عليه .. « رفعت » عمها المتوحش ببنيانه الذى لا يقل عن بنيان جبابرة المصارعة الحرة يدخل متوسطًا رجلين .. تسمّرت عينا (علاء) عليه ، فالتفتت (أميرة) لتتبين ما صدمه ، فإذا بها هى الأخرى تتلقى صدمة أشد من صدمته ، فقد كان الرجل الذى بيمين عمها هــو (سليم الموجى) مدير شركة « مصر » للبترول ،

والذى بيساره هو المهندس الشاب الذى ضبط المساطر المزيفة فى الشاحنتين اللتين كان مقبوضًا عليهما بالأمس فى الشركة ، وكادت الصدمة تشطر عقل الفتاة ، وانفلتت منها غمغمتها الذاهلة :

ـــ مستحيل .

ونهضت واقفة مع (علاء) محدقين بصدمتهما العاتية فى العم ، فلفتا نظره إليهما .. تسمَّر فى مكانه محدِّقًا فيهما وقد عقدت الصدمة كل ملامح وجهه ، فانقلب وجه شيطان مريد عصف به الغضب ، ثم إذا به يتحرك متقدمًا منهما وهو يحدِّق فيهما بغضبه المعسور ، حتى وقف بينهما مسلطًا عينيه على (علاء) بغل مريع وهو يكوِّر قبضتيه كعادته كلما أفقده الغضب صوابه ، وفطنت (أميرة) إلى نيته ، فأسرعت تقول له بمنتهى الشجاعة والحدة وهى تكظم صدمتها وسخطها :

ـــ عماه .. نحن فى مكان عام ، ولا داع للفضائح .

وضاع تنبيهها أدراج الرياح ، فلم يلتفت إليها العم ، وتحركت يداه من جانبيــه لتنقضــا على (عــلاء) ، فإذا بالفتى يقفز خلفه بسرعة البــرق ، وإذا به فى حركة خاطفة يرفع قدمه اليمنى ، ويسدد بها ركلة فولاذية فى مؤخرته ، جعلت العم يطير

مخترقًا النافذة الزجاجية العريضة التى أمامه ، وساقطًا فى نهر النيل !!!

★ ★ ★

ووقعت الواقعة !!

وقعت فى مخزن المعلم (شحات) بـــ « الخصوص » ، والممتلئة صهاريجه العملاقة بما يزيد على المليون لتر بنزين وسولار ..

ففى داخل مكتب المخزن انتصب الشقيقان فى مواجهة بعضهما ، وفى صدريهما من الغل والكراهية لبعضهما ما جعل كلاهما يتوق لإبادة الآخر ، بينما فى ساحة المخزن انتصب ما يزيد على المائتى رجل مدججين بأسلحتهما النارية فى مواجهة بعضهما ، فقد جاء (رفعت) بنحو سبعين رجلاً فإذا بالأرض تنشق عن أكثر من مائة وثلاثين رجلاً من رجال المعلم (شحات) ، ووقف كلا الفريقين ينتظر الإشارة من زعيمه لإبادة الفريق الآخر ، وبينما وضح جليًا أن (رفعت) بغشمه وحماقته الأصيلين فى طبعه ليس فى باله أدنى مبالاة بالنتائج الجهنمية المدمرة لهذا الصدام المروع طفحـت على وجـه (الشحات) ومن عينيه مرارة لا تضاهيها مرارة وهو يتطلع إلى شقيقه الصغير ، ووجد نفسه يسأله بكل مرارته :

ــ لماذا يا (رفعت) ؟!!

وكان رد (رفعــت) بصفاقة متناهية ، ودون أدنى احتــرام لشقيقه الكبير :

ــ أين المحروس يا (شحات) ؟

ــ أى محروس .

ــ المحروس الذى ألقى بشقيقك فى « النيل » يا معلم .. الذى ركلنى بقدمه .. بحذائه .. الذى ركل المعلم (رفعت) بحذائه ، وألقى به فى النيل يا كبير .

ــ هل تريده ؟

ــ إذا تكرّمت يا كبير .

ــ موجود .. موجود يا معلم (رفعت) .. يا شقيقى .. موجود ويمكننى تسليمه لك فورًا ، لكن بشرط واحد بسيط .

ــ أى شرط يا كبير ؟

ــ أن تخبرنى لماذا كان هذا الغدر منك ؟

ــ آه .. تقصد عملية المساطر ؟

ــ لماذا يا (رفعت) ؟

انسابت ابتسامة باردة على شفتى (رفعت) ، ثم كان جوابه ببرود :

ــ أمرك عجيب يا كبير !! حقيقى أمرك عجيب !!

ــــ عجيب فيم يا معلم (رفعت) ؟

ــ فى نسيانك لدروسك لى .. أولى دروسك لى حين كنت معلمى الذى يعلمنى ويرشدنى .. هل نسيت يا معلمى سابقًا أول وأعظم درس لقنته لى ؟

ــ ذكّرنى يا ابن أمى وأبى .

ــ يا سارق قوتى يا ناوى على موتى .

ــ ومن سرق قوتك يا شقيقى الصغير ؟

ــ أنت .

فوجئ (الشحات) :

ــ أنـــا ؟!

ــ نعم أنت يا شقيقى الكبير .. يا ابن أمى وأبى .

ــ وماذا سرقت منك ؟



وكان رد (رفعت) بسخرية متناهية :

ـــ هذا حال الظالم دائمًا يا كبير .. يظلم وينسى .

وفوجئ (الشحات) للمرة الثانية :

ـــ حال الظالم ؟! يظلم وينسى ؟! فيم ظلمتك يا (رفعت) ؟!!

ـــ فى أمور كثيرة .. أمور كثيرة جدًّا يا كبير .. آخرها بنزين « الواحات » .

ـــ بنزين « الواحات » ؟!

ـــ نعم بنزين « الواحات » هل نسيت يا كبير ؟ هل نسيت أننى شريكك فى هذا البنزين ؟

فوجئ (الشحات) للمرة الثالثة :

ـــ شريكى ؟!!

ـــ نعم شريكك .

ـــ شريكى كيف ؟!!

ـــ بحضورى معك فى لقاء سيادة الوزير يوم وعدنا بمنحنا هذا المحبس .

عصفت الدهشة بـــ (الشحات) :

ـــ ماذا ؟!!

ـــ ماذا أنت يا كبير ؟ هل نسيت ؟ هل نسيت أننى كنت موجودًا معكما ؟ هل أعطيك أمارة ؟ أمارتين ؟ مـــن عينى .. الأمـــارة الأولى أنه أخبرنا بأن هذا المحبس تم تركيبه سرًّا فى خـــط أنابيب البنزين بالاتفاق مع المهنـــدس المشرف على مد الخـــط ، وذلك قبـــل افتتاحه ، أى قبل ضخ البنزين فيه ، أما الأمارة الثانية فهى أنه وعدنا بتسليمنا المحبس فور تشغيل الخط ، وضخ البنزين فيه ، ولكن الذى حدث هو أن سيادتك قمت باستلام المحبس دون أن تخبرنى ، وظللت تسحب منه لأكثر من سنة ، حتى علمت أنا بالصدفة الشهر الماضى فقط .

ونـــزل حديث (رفعت) على عقل وأعصاب (الشحات) كالصاعقة ، وكاد يضرب كفًّا بكف وهو يحدق فى (رفعت) بذهول :

ـــ ما هذا يا رجل ؟! ما هذا الذى تقوله ؟! أسحب ماذا ؟! وأخبرك بماذا ؟! هل جرى لعقلك شىء ؟! ما شأنك أنت بكل هذا ؟!

هل كنت طرفًا فى هـذا الاتفـاق ؟! وماذا تكـون أنت كى تحشر نفسـك فى أمـور كهـذه ؟! هـل نسـيت نفسـك ؟! وهـل نسيت لمـاذا اصطحبتك معى يومها إلى هـذا اللقـاء ؟! هــل نسيت أنك كنـت فى حالة نفسـية سـيئة بسبب خلافاتك مع زوجتـك ؟ فأخذتك معى كى لا تتشـاجر معهـا وتتسـبب فى طلاقكما للمـرة الثالثـة ؟ كى لا تتسبب فى خـراب بيتك بعصبيتك وغشمك ؟ نسيت هذا يا كارت الحشر وحشرت نفسك فيما لا شأن لك به ؟! وجعلت من نفسك شريكًا وصاحب حق ومظلومًا وضحية تم الغدر بها ، فقررت أن تنتقم لنفسك بالغدر بى ؟! هكذا اشتغلت مع نفسك ؟! سبحان الله يا أخى !! سبحان الله فى أمر إنسان يخلق لنفسه وهمًا ، ويظل ينفخ فيه حتى يصدقه ، ثم يحـاول فرضـه على غيره ناسيًا أنه وهم !! وهم يا عم المظلوم !! وهم !!

وراح (الشحات) يحدق فى شقيقه بذهول يكاد يذهب بعقله ، بينما كان رد الأخير أن راح يصفق بكفيه بمنتهى السخرية والبرود ، وهو يقول :

ــ براڤو . براڤـو يا كبير .. بكل بساطة جعلت منى طفلاً صغيرًا أحمق تسحبه فى يدك كى تبعده عن المشكلات التى يفتعلها بحماقته وغشمه ، ثم جعلت منى كارت حشر يحشر نفسه فيما لا يعنيه .. براڤو .. حقيقى براڤو .

وكف عن التصفيق لتنقلب سخريته كلها مرارة خالصة وهو يردف قائلاً :

ــ ولكن لماذا يا كبير لم تذكر أيضًا كيف كان هذا الطفل الأحمق يقـف لك بعربة السـولار اليدوية على الطريق لأكثر من خمس عشرة ساعة يوميًا ، حين كنت لا تجد عاملاً غريبًا يعمل معك ؟ وكيف ترك دراسـته ليعمل معـك ؟! وكيف كاد يُقتل فى مشاجرتك مع أولاد (عـوف) بسبب غضبهم من وقوفنا بعربة السولار اليدوية فى منطقتهم ؟! وكيف ظللت أعمل معك ليل نهار حتى استأجرنا هذا المخزن الذى نقف فيه الآن ؟! لماذا لم تذكر هذا كله يا كبير ؟! هل نسيته كله ؟ أم أن جشعك الذ........

ولم يكملها ... بترتها صيحة (الشـحات) بمنتهى الغضب والذهول :

ـ جشعى ؟! جشعى أنا يا (رفعت) ؟! من منّا الجشع ؟! من منا ؟! هل نسيت أنت كيف كنت تأخذ منى ضعف أجر أى عامل غريب ؟! هل نسيت كيف ضبطتك أكثر من مرة وأنت تُكمل عبوة عربة السولار التى تتحدث عنها بمياه الترعة التى كنت تقف عليها كى تأخذ منى ثمن عبوة العربة كاملة ؟! هذا من ناحية ، أما من ناحية الدراسة هل نسيت أيضًا محاولاتى المستميتة معك كى تنتظم فى دراستك ؟! وكيف كنت أذهب بك إلى المدرسة عقب هروبك منها كل مرة ؟! وكيف كنت أوصى المدرسين بك ؟! هل نسيت كل هذا يا ابن أمى وأبى ؟! وماذا أيضًا ؟! آه حكاية مشاجرتنا مع أولاد (عوف) .. من كان السبب فيها ؟! ألم أطلب منك أكثر من مرة ألا تعمل فى منطقتهم ؟! وظللت تتجاهل تنبيهى لك حتى جاءنى الخبر يومها بأنهم أخذوك بالعربة فأسرعت إليهم بمطواتى كى أحررك منهم ؟! من منا الذى كان سيتسبب فى مقتل الآخر يومها ؟! وأما حكاية أنك استأجرت هذا المخزن معى فإنها بالضبط وقاحة .. وقاحة فاجرة مثل وقاحتك معى الآن ..

ضربت الدهشة (رفعت) ، فانفلت صياحه الداهش فى وجه شقيقه :

ـ ماذا ؟! وقاحة ؟! وقاحة يا معلم (شحات) ؟! يا كبير المعلمين ؟! يا ابن السوق ؟! وقاحة أن أطالب بحقى ؟! يا أخى ! الغرباء حين يبدعون طريقًا معًا يتقاسمون ما يلاقونه سويًا ، خيرًا كان أو شرًا ، ونحن بدأنا الطريق سويًا ونحن شقيقان ، فانظر ماذا صرت أنت وماذا صرت أنا ؟! يا أخى تسحب أربعة عشر مليون لتر بنزين فى أقل من شهرين من خط واحد فقط ؟! أربعة عشر مليون ؟! ولا تفكر مرة واحدة أن تعطينى لقمة من الرغيف ؟! لماذا ؟! ألا تكفيك بقية الأرغفة ؟! أذونات صرف بآلاف اللترات يوميًا من البنزين والسولار المدعمين لصهاريج وهمية فى محطاتك ؟! وآلاف اللترات التى يتم تهريبها لك يوميًا فى أسطول شاحناتك من شركات « البحر الأحمر » و« مسطرد » و« السويس » و« العريش » و« الجمعية التعاونية للبترول » و« سيناء » وغيرها وغيرها ؟! وآلاف اللترات التى يجمعها لك صبيانك يوميًا من الشاحنات بأسطول عرباتك اليدوية المنتشرة كالجراد على الطرق ؟! وآلاف اللترات التى يسرقها قائدو الشاحنات لحسابك يوميًا من داخل

الشركات بمساطرك المضروبة .. يا أخى .. يا أخى هذه السنة فقط سيادتك لعبت فى أكثر من أربعـــة مليارات لتر ، وسوقك ما شاء الله عدّى !! عدّى كل الحدود ، بما فيها حدود المحروسة !! صار سوقًا دوليًا ، أم أنك تعتقد أنى أجهل ما تهرّبه شركة ابنتك للخارج ؟ لك حق ، فاللعبة كبرت ، ودخل فيها وزيران وابن الرأس الكبيرة ودستة من حيتان المحروسة ومديرو ورؤساء مجالس الإدارات ؛ أى صرتم حكومة داخل الحكومة ، حكومة شفطت فى سنة واحدة مليارى لتر بنزين ومثلهما سولارًا مدعمًا ومسروقًا ، كل هذا وأنا كما أنا منذ عشر سنوات ، شريكًا فى محطة وقود واحدة درجة ثانية .. نصف المحطة التى تكرَّمت سيادتك ودفعت لى ثمنه كى تخرجنى من اللعبة ، وكى أضع لسانى فى فمى .. عشر سنوات يا كبير وأنا أشاهد الأموال تنهمر عليك أنت وابنتك كالمطر ، فأقول لنفسى أنه شقيقك ، وغدًا سينصفك ، ولكن مر غد وأكثر من ثلاثة آلاف غد ، وأنت ولا هنا ، حتى نفد صبرى كله ، حتى خنقتنى .. خنقتنى ..

وانطلقت مـــن آخر أعماقه زفرة حارقة ، أردف بعدها قائلاً لشقيقه بصرامة مريعة :

ـ خذها منى يا (شحات) .. خذها منى .. ورحمة أمى وأبى لآخذن حقى منك كاملاً ، ولو جرى فيها بحر من الدماء ، ولكننى لم آت لهذا الآن ، إنما جئت لآخذ المحروس .. المعلم (علاء) ، وعلىّ الطلاق لن أزحزح قدمى خطوة واحدة من هنا إلاّ وهو فى يدى ، فإذا كنت سيادتك ترانى غشيمًا أو مجنونًا ، فكن أنت العاقل وسلمه لى ، وإلاَّ ...

وجاءه سؤال (الشحات) بمنتهى الهدوء :

ـ وإلاَّ ماذا يا معلم (رفعت) ؟!

ـ وإلاَّ فجرت مخزنك هـــذا بأعيرة طبنجتى ، ولك أن تتخيل ما يمكن أن يحدث بتفجير مليون لتر بنزين وسولار على الأقل فى قلب حى سكنى شعبى .

وقبل أن يتم تهديده ، كانت طبنجته قد ظهرت فى يده ، وأسقط فى يد (الشحات) ، وتجمدت عيناه ذاهلتين على وجه (رفعت) ،

وهو لا يدرى ماذا يقول أو يفعل ، وأدرك (رفعت) ما فعله التهديد بشقيقه ، فأسرع يطرق الحديد وهو ساخن :

ـ ها يا كبير .. أين المحروس ؟

وظل (الشحات) على ذهوله وحيرته ، فإذا بالجواب يأتى (رفعت) من خلفه بصوت قوى :

ـ أنا هنا يا معلم (رفعت) .

وبُهت (الشحات) وهو يحدق فى (علاء) وقد ظهر بباب المكتب وإلى جواره (أميرة) ، أما (رفعت) فقد استدار إلى الفتى وقــد ارتسمت فــوق شفتيه ابتسامة الظفر بالفريسة .. ابتسامة قاتلة فاحت منها رائحة انتقام مريع ، وهمَّ بأن يتقدم من الفتى ، فإذا بقوة لا تقل عن أربعين رجلاً من رجال المباحث يقفزون من خلف (علاء) و(أميرة) منقضين على (رفعت) ، مشلين حركته تمامًا ، بينما الضابط قائدهم يتقدم منه ، شاهرًا مسدسه فى وجهه ، حتى إذا ما وقف أمامه ابتسم قائلاً بمنتهى التهكم :

ـ يا فُجرك يا أخى !! حقيقى يا فُجــرك !! أتريد تفجير حى سكنى بأكمله ؟!! كيف ؟!! تخيلت نفسك تمثل فيلمًا سينمائيًا فى « أمريكا » ؟! كيف والأمريكان أنفسهم لا يجرءون على فعلها ؟!!

وإذا بسخريته كلها تنقلب غضبًا مريعًا ، وهو يطلق فى رجاله صرخة متوحشة :

ـ خذوه !!!

★ ★ ★



الفصل السابع

أمام وزير الداخلية الجالس إلى مكتبه ، وفى حضور كوكبة من كبار ضباط الشرطة جلس المعلم (شحات) يتنفس غمًّا ، وجلست (أميرة) و(علاء) أمامه متوترين من وطأة الموقف ، بينما وقف إلى يمينه (رفعت) مُطأطئ الرأس وهو يعتذر له بكل خزى وانكسار :

ــ أنا آسف يا معلم (شحات) .. أنا آسف ، وتحت أمرك فى أى شىء يرضيك .. أنا اللحم وأنت السكين يا معلم .. أنا اللحم وأنت السكين ، فافعل بى ما شئت ، وما يرضيك .

ولم يملك المعلم (شحات) إلاَّ أن يرفع عينيه نحوه ، متطلعًا إليه بنظرة تطفح مرارة ، أثارت تعاطف الوزير معه ، فالتفت إلى (رفعت) قائلاً بلهجة ترعب القلب من جبروت صرامتها :

ــ اسمع يا (رفعت) . لابد لك أن تعلم أن الذى رحمك منى هــذه المرة هــو أنك شـقيق المعلم (شحات) ، وأنت لا تعلم قــدر المعلم (شـحات) عنــدى ، ولكــن .. إذا ما حدث أن علمت مــرة أخـرى أنك تعرضـت له أو للآنســة (أميــرة)

أو لــ (علاء) ، أو لأى إنســان يخــص المعـلم بأى أذى ، ولو كـــان لفظًا واحــدًا جارحًا ، فأننى لن أتردد للحظة واحدة فى اعتقالك ، بل أننى أقسم لك بشرفى بأنك لن ترى الشمس مرة أخرى ما دمت أنا جالس فى هذا المقعد ، وهذه رسالة منى لك ، فهل بلغتك رسالتى يا أخ ؟

وكان رد (رفعــت) على الفور باستكانة ورهبة طاغيتين وارى بهما غلاً رهيبًا ينهشه نهش أنياب الكلاب :

ــ بلغتنى يا معالى الوزير .. بلغتنى .

راح الوزير يحدجه بنظرة تكاد تُصهر العظام من هول جبروتها وصرامتها ، جاءت بعدها كلمته الناهية للموقف بنفس صرامته :

ــ مع السلامة .

ــ الله يسلمك يا معالى الباشا .

واستدار (رفعت) منصرفًا بخزيه ، حتى إذا ما خرج من باب المكتب ، التفت الوزير إلى المعلم (شحات) و(أميرة) و(علاء) مداعبهم بابتسامة دافئة :



ـ ها يا (شحات) .. ها يا شباب .. ألا يوجد لديكم ابتسامة حلوة لوجه الله ؟

سارع الثلاثة بالابتســـام فى سعادة ، فأردف الوزير قائلاً بحميمية :

ـ نعم هكذا .. ماذا تشربون ؟

★ ★ ★

تمامًا كالمجانين انطلق (علاء) يهذى بصوت مسموع :

ـ علاء ! (علاء) يا ابن أم (علاء) ! يا ابن (ستيتة) ! ما هذا الذى حدث معك ؟! ما هذا ؟! أجلست مع وزير الداخلية ؟! مع وزير الداخلية نفسه ؟! وزير الداخلية بشحمه ولحمه ؟! وزير الداخلية كله .. كله ؟! برأسه وعينيه وفمه ويديه ورجليه ؟! كله كله ؟! أجلست معه وتحدثت معه وشربت الشاى معه ؟! وداعبك وداعبته ؟! وسلم عليك وسلمت عليه ؟! ووضعت يدك فى يده ؟! أهذا حدث معك ؟! أفعلاً هذا حدث معك ؟! لا لا يا ابن المجنونة .. إياك أن تصدّق أن هذا حدث معك .. إياك تصدق .. إذا صدّقت نفسك ستجرى إلى أصحابك فى منزل أم (يوسف) ، وستخبرهم بأن هـــذا حدث معك ، وربما تقفز فى أول قطار ،

وتجرى إلى أمك وإخوتك وتخبرهم وتخبر ناسك كلهم ، وربما النجع كله بأن هذا حدث معك ، وفى هذه الحالة لن يكون أمامهم إلاَّ أن ينطلقوا بك مقيــدًا إلى مستشفى الأمــراض العقلية ، ومبروك عليك ابنك المجنون يا (ستيتة) ، فإياك تصدق نفسك .. إياك يا ابن المجنونة .. أمسك لسانك ، ولا تضيّع نفسك .. أمسكه هكذا .. هكذا ..

وإذا بالفتى يقبض بأصابعه على لسانه ، ويغرس أظافره فيه ، حتى كاد يسيل دمه ، بينما (أميرة) يكاد قلبها يتوقف من شدة كريزة الضحك التى داهمتها وهى ترى ما يفعله بنفسه ، حتى إنها اضطرت إلى التوقف بالسيارة جانبًا فوق كوبرى « قصر النيل » الذى كانا يعبرانه ، وأسرعت تحاول تحرير لسانه من أظافره ، وهى تهتف به فى ذهول :

ـ ستقطع لسانك يا مجنون .. اتركه .. اتركه .. ماذا جرى لك ؟!

وجاءها هتافه الهيستيرى :



ـ ماذا جرى لى ؟! ألاً تعلمين ماذا جرى لى يا ابنة المعلم (شحات) ؟! فقدت عقلى .. عقلى صار غازات .. صار هواء .. انظرى ! انظـرى إلى رأسى ، هل ترين فيه عقلاً ؟ هيا انظرى وأخبرينى .. هل ترين عقلاً ؟

وراح يضرب رأسه بقبضتيه فى هوس ، والفتاة تحاول منعه وهى تضحك وتهتف به فى آنٍ واحد :

ـ كفى .. كفى يا متخلف .. الله يخرب بيتك .. ما هذا الذى تفعله بنفسك ؟! اهدأ ! اهدأ حتى لا يضرب عقلك فعلاً ، وتكون مصيبة ..

ولكن (علاء) لم يهدأ ، فما كان من الفتاة إلاَّ أنها توقَّفت عن الضحك ، فقد تحرَّك قلقها من زيادة انفعاله عن الحد ، فأسرعت تحتضن يديه بيديها بكل حنو ، وتردف قائلة له فى توتر :

ـ كفى يا (عــلاء) يا حبيبى .. كفى لأجل خاطرى ، لأجل خاطر حبيبتك يا (لوءة) .. لأجل خاطر حبيبتك .

وانتبه (علاء) إلى قلقها المؤلم ، فتوقف عما يفعله بنفسه ، وراح يهدأ رويدًا رويدًا ، حتى سكن تمامًا بين يديها ، ولكنه وجد نفسه يتأملها بنظرة عميقة تهدر حيرة ، فتح بعدها باب السيارة ، وغادرها ، وأسرعت هى تلحق به ، حتى وقفا إلى سور الكوبرى ، فراح هو يرسل نظرة ممزقة بعيدة .. بعيدة .. على امتداد سطح النهر الفضى ، وجد نفسه بعدها يقول لـ (أميرة) بصوت يعتصره الشجن :

ـ أو تدرين يا أميرتى .. بِمَ أشعر الآن ؟!

أشعر بأن الجنون يحملنى فوق ظهره كطائر خرافى ضخم ينطلق بى بلا تعقُّل .. تارة يقفز بى إلى قمة جبل شاهق ضارب فى السماء ، وتارة أخرى يسقط بى فى جوف واد سحيق ماله من قرار ، وما بين قفزه وسقوطه يمضى بى ، وأنا لا أدرى إلى أى مصير سينتهى بى .

وخفق قلب (أميرة) خفقة ارتياع ، وأسرعت تطبق بكلتا يديها على يدى حبيبها ، فقد أدركت ضراوة الأمواج التى تضرب بعضها البعض فى أعماقه .

★ ★ ★

وهنا ..



هنا عند هذا الحد اجتاح (علاء) شعور جارف بحاجته إلى جذوره ..

إلى أمه وإخوته وعشيرته وقريته ..

عامان كاملان قضاهما بعيدًا عنهم .. عامان كاملان وهو فرع مفصول عن شجرته ، فكان يسيرًا على الرياح أن تعبث به وبوجدانه وبتوازنه كيفما شاءت ..

صحيح أنه كــان ولا يــزال على اتصال بهم عبــر شقيقه (محمود) ، ولكنه ظل اتصالاً من بعيد ، اتصالاً كاد يكون ماليًا بحتًا ، مختزلاً فى النقود التى يرسلها لأمه وإخوته ..

كيف حدث هذا ؟ كيف ؟

إنه سعير الفقر الذى يلتهم حيل الإنسان فى كثير من المواقف ، فيغرزه فى مواضع غير كريمة ، تمامًا كما حدث مع الفتى فى زفافه هو وحبيبته الراحلة (سمر) لم يستطع استحضار أمه وإخوته ولا أحدًا من ذويه ؛ لأنه لم يكن عريسًا حقيقيًا ، فلا هو جاء بشقة الزوجية ، ولا بشبكة العروس ، ولا بثياب عرسه التى كان يرتديها حتى ، فالذى جــاء بكــل شىء هــو المعلم (شحات) .. حتى النقود التى كانت فى جيبه حينها كانت نقود المعلم (شحات) ، ثم هل توقفت مهانة الموقف عند هذا الحد ؟

لا .. بل كان هناك ما هو أشد مهانة من هذا كله .. كان هناك (رفعت) .. (رفعت) بكل همجيته ، وقلة أدبه ، وعدم استعداده لاحترام أحــد ، كبيرًا كان أو صغيرًا ، وقبل هذا كله بكراهيته الأسود من السواد له ، وبرفضه القاطع لهذه الزيجة من أساسها .. كان هذا هو الموقف .. موقف محاصر بالمهانة من كافة نواحيه ، ومن هنا كان قرار (علاء) بعدم استحضار أى من ذويه ، كى يمر الأمر بسلام ، وحتى إذا ما استقر بعروسه فى عشهما ، سارع بإحضار أمه وإخوته ومن شاء من أحبائه ، وهكذا قدر الفتى أمره ، ولكن القدر كان له تقدير آخر ، فقد أرسل طائر الموت يقتنص العروس ، لينهى الأمر بنهاية أخرى تمامًا ، ثم إذا به يدفع بالفتى من هذه المحطة ، ليواصل طريقه الذى بدأه دون اختيار ، والذى بات واضحًا أنه طريق من نار ، حتى بلغ هذه المحطة .. محطة أدرك عندها أنه لا مطفئ لشوائه سوى نهر الرحمة .. حضن أمه ، فأسرع يستأذن معلمه وحبيبته فى السفر إليها ، فما كان من المعلم (شحات) إلاَّ أنه وضع فى يده خمسة آلاف جنيه ، وملأ إحدى سياراته الجيب الحديثة بالكثير من الهدايا ، لتنطلق به (أميرة) إلى محطة « مصر » ، ولا تتركه حتى بعدما تحرك به القطار المتجه إلى

« أسيوط » ، فقد ظلت واقفة برصيف المحطة وعيناها متشبثتان بالقطار وهو يبتعد عنها بحبيبها حتى انسابت دموعها فوق خديها ، فهذه هى المرة الأولى التى يفارقها فيها حبيبها منذ تربعه على عرش قلبها .

★ ★ ★

سبعة أيام وعاد (علاء) ..

عاد ساطع الوجه متهلل القلب ، فقد ارتوى من حنان أمه ومن حب إخوته ، ومن سعادتهم الجارفة بالغيث الذى أتاهم على يديه لينقذهم من أنياب الجوع والمرض .. ارتوى بقدر جعله يشعر بأن كل ما فيه اكتسب قوة خارقة .. قلبه .. عقله .. روحه .. كيانه بكل ما فيه ..

وتلقاه المعلم (شحات) فى مخزن « الخصوص » بشوق الأب الذى أضناه غياب ابنه المقرَّب إلى قلبه ، وأما (أميرة) فقـد تلقته بقلب كـواه الظمأ أكثـر مما أضناه الشوق ، فما أن دخل عليها مكتبها حتى فوجئ بها تقفـز إليـه من خلف المكتب ، يسبقها هتافها المحمـوم ، وهى توشـك البكاء من ضراوة انفعالها :

ــ كل هذا ؟! كل هذا يا (علاء) ؟! كل هذا غياب ؟! كيف استطعت ؟! كيف ؟!

وفوجئ الفتى بانفعالها المؤلم ، وأسرع يجيبها بدهشة وقلق عليها :

ــ غصب عنى يا أميرتى .. وحياة أميرتى غصب عنى .. سامحينى .

ــ أسامحك ؟! أسامحك على عذاب كاد يذهب بعقلى ؟! عذاب غيابك عنى سبعة أيام ؟! سبعة أيام بلياليها ؟! أتعرف كيف مرت علىَّ السبعة أيام هــذه ؟ مرت كسبعة دهــور .. نعم .. كسبعة دهور .. فقد كان اليوم يمر علىَّ كالدهر بكامل سنواته وشهوره وأيامه وساعاته ..

ــ ولكننى كنت معك على الموبايل لأكثر من ثلاث ساعات يوميًّا !

انفلتت منها هتفتها تتدفق ألما وعتابًا :

ــ موبايل ؟! موبايل يا (علاء) ؟! هل تظن أن حديث العمر كله فى الموبايل يمكن أن يغنينى عن نظرة واحدة إلى وجهك ؟ عن لمسة واحدة من يديك ؟ عن .....

أسرع يقاطعها بدهشة :

ــ كل هذا ؟! كل هذا يا أميرتى ؟!

وجاءه الجواب برجاء جارف :

ــ ليتك تفهم .. ليتك .

خفق قلبه :

ــ أنا آسف يا أميرتى .. حقيقى آسف .

هدأ قلبها ، وارتــد إليهــا صفاؤها ، فكان مطلبها برقة تقطر عذوبة :

ــ لا أريد أسفك يا مالك قلبى .

ــ ماذا تريدين إذن يا أميرتى ؟

ــ أريد تعويضًا .

انفلتت هتفته برجاء محموم :

ــ أميرتى .. لك الأمر وعلىَّ التنفيذ .

ــ إذن هيا خذنى فى نزهة لم تحلم بها فتاة على الأرض .

وجاءها الجواب بسرعة البرق :

ــ سمعًا وطاعة يا أميرتى .. سمعًا وطاعة .

وبفرحــة عارمــة أسرع يلتقــط يدهــا ، لينطلق بها من المكتب ، فإذا بموبايل (أميرة) يرن ، وإذا بالطالب هو المعلم (شحات) ، أسرعت تجيبــه ، وما أن أصغت إليــه حتى كان جوابها بابتهاج :

ــ أمرك يا ملك المعلمين .. أمرك .

وأغلقت الخط ملتفتة إلى (علاء) قائلة بابتهاجها :

ــ المعلم أنقذك منى .. إنه تحت الشركة يريدك .. هيا أسرع إليه !

ــ أمرك يا أميرتى .

وأسرع الفتى إلى المعلم (شحات) ، ليجده أمام دريكسيون سيارته الجيب الحديثة .. قفــز إلى جواره ، لينطلق به وهو يهتف فى الموبايل :

ــ بسرعة يا (عبدون) .. حرك الشاحنات الخمس إلى أول طريق « السويس » ، وأنا سألحق بها حالاً .. نعم يا (عبدون) .. أنا فى الطريق .. هيا بسرعة .. بسرعة .

أقل مـن سـاعة وكـان المعلم (شـحات) بسيارته الجيب يتقـدم الشاحنات الخمس على طـريق « القاهرة / السويس » ، حتى إذا ما تجـاوز منتصـفه ببضعة كيلومترات ، انحـرف يمينًا ، ماضـيًا فى جوف الصحراء المعتمـة حتـى ظهـرت له خمس شاحنات تقـف فى الانتظار ، وما أن بلغها حتى سارع بمغادرة سيارته وهو يقول لـ (علاء) فى تعجل :

ـ انـزل !

ونزل (علاء) من السيارة ، فى حين راح المعلم (شحات) يصافح رجـلاً وقـورًا ستينى العمر كان يقف إلى جوار الشاحنات المنتظرة ، ثم التفت المعلم إلى قائدى الشاحنات ومساعديهم ، هاتفًا فيهم بتعجل :

ـ هيا يا رجال .. هيا بسرعة !

وانطلق قائدو الشـاحنات العشر ومساعدوهم يفرغون حمولة شاحنات الرجل الوقور من البنزين والسولار فى شاحنات المعلم (شحات) ..

وفجأة ..

فجأة ..

انشقت الأرض عـن نحـو خمسين رجلاً ببنادقهم الآلية ، انطلقوا يصبّون نيران بنادقهم على المعلم والرجال والشاحنات ، ليتساقط الرجال ممزقى الأجساد ، ولتتفجّر الشاحنات بحمولاتها ، محوّلة عتمة الصحراء إلى جهنم مسعورة ، تبلغ نيرانها عنان السـماء .

إلى اللقاء فى الجزء الرابع



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجًا من وجودها بالمنزل



فوزى عوض

طائر الجنون

(ملك النار الجزء 3)

أو تدرين يا أميرتى .. بم أشعر الآن ؟!
أشعر بأن الجنون يحملنى فوق ظهره كطائر
خرافى ضخم ينطلق بى بلا تعقل .. تارة يقفز
بى إلى قمة جبل شاهق ضارب فى السماء . وتارة
أخرى يسقط بى فى جوف واد سحيق ما له من
قرار . وما بين قفزه وسقوطه يمضى بى .
وأنا لا أدرى إلـى أى مصيـر
سينتهى بى !

120

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



